

مشكلتي مع باري

محمد نبيل كبا

مشكلتي مع باري

1

"نسق"

فلسطين – نابلس – شارع تونس
بجانب مسجد أم سلمة

مشكلتي مع باري

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبحا

الطبعة الأولى

٢٠٢٥م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

إهداء

إلى أم الغالية "ليلي".
إلى زوجتي وصديقتي "دنيا".
إلى أخواتي "دينا، داليا، تيماء".
إلى جداتي "خيرية، رسمية" رحمهن الله.
إلى عماتي "وداد، وفاء، فريال، رائدة، سلوى".
إلى خالاتي "نادرة -رحمها الله- آسيا -رحمها الله- نهلة -رحمها الله-
نجاح، ختام".
إلى كل والدة كانت أم، و إلى كل أم لم تلد..

شكرو وتقدير

إلى أمي الحبيبة (ليلى خالد كفاية)... إلى أبي الحبيب (نبيل سليمان كبتها)...

قد يظن البعض أن "الأب والوالد" كلمتان متشابهتان أو متطابقتان أو مترادفتان في الكتاب (المصحف - القرآن الكريم) وأنهما ذات الشيء ولا يوجد بؤن بينهما، وأنهما تُطلقان على الشخص الذي أنجب الطفل، وهذا غير صحيح أبداً، فالكتاب فرّق بينهما بشكل كبير.

قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون" (الآية رقم ٢ من سورة يوسف) وقال تعالى: "نزل به الروح الأمين -١٩٣- على قلبك لتكون من المنذرين -١٩٤- بلسان عربي مبين -١٩٥- (الآيات من سورة الشعراء).

لذلك عند التنقيب سنجد اختلاف كبير بين الأب والوالد من ناحية الإشتقاق في اللغة العربية، فالأب مشتق من الجذر: أب، والوالد مشتق من الجذر: وُلد.

الوالد هو صاحب الحيوان المنوي، والوالدة هي صاحبة البويضة، والوالدة هما أصحاب ال "DNA"، أصحاب الحمض النووي فقط، بينما الأب هو من أب لك ومن أجلك، بمعنى تهياً لك وتجهّز وسار لعنايتك والإهتمام بك، ويُراد به التربية والرعاية والتوجيه والإرشاد، فالأب هو المربي الذي ربّاك وأنفق عليك وعلمك وتعب من أجلك حتى اشتد عودك، قال تعالى: "ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين" (الآية رقم ٧٨ من سورة الحج).

الله -سبحانه- يُخبرنا في هذه الآية أنّ إبراهيم عليه السلام هو أبونا؟! فكيف ذلك؟ لماذا يخبرنا الله -سبحانه- في هذه الآية بأن سيدنا إبراهيم هو أبونا مع أنه ليس صاحب الحيوان المنوي؟ لأنّ سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كان له فضلا علينا بإرشادنا وتوجيهنا وتعليمنا الدين الإسلامي، وللعلم.. النسب هو للأب وللأم الذين إعتنوا بالطفل.

أما الوالد فإنه يُذكر ويُراد به التوالد والتناسل وإنفصال الولد عن الوالد، فنجد على سبيل المثال أن اللقيط له والد ووالدة، ولكن ليس له أب وأم!!

قال تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً" (الآية رقم ٢٢ من سورة الإسراء) يُذكر الله -سبحانه- في هذه الآية الولد بأصله الذي تفرع عنه، ويرشده إلى أهمية التواصل بين الأصل والفرع.

وقد يكون الوالد أب وقد لا يكون، فنحن نقول عن هذا الوالد أنه "أب" عند إرادة معنى التربية والتغذية والعناية والرعاية والإهتمام، كما جاء في سورة يوسف، قال تعالى: "إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين" (الآية رقم ٤ من سورة يوسف) يتضح لنا في الآية أن سيدنا يعقوب -عليه السلام- هو والد سيدنا يوسف -عليه السلام- البيولوجي، وفي نفس الوقت كان "أب" له، فربّاه وعلمه وأرشده.

وهذا يدل على أن الكتاب (المصحف - القرآن الكريم) ينتقي ألفاظه ويختار أحرفه بعناية دقيقة، ولكل كلمة دلالتها الخاصة بها، فعلاً.. إنه كلام ربّ العالمين "كلام الله سبحانه".

قال تعالى: "وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ" (الآية رقم ٣١ من سورة النور) نلاحظ في الآية أنه قال "آبَائِهِنَّ" ولم يقل "والديهن"، بل قال: "آبَائِهِنَّ"، لماذا؟ لأن الأب مفهوم إنساني.

إذن.. نستنتج ممّا سبق أن "الأب مفهوم إنساني، والوالد مفهوم بيولوجي".

عندما ننظر في واقعنا المرير، فإننا نرى معظم الرجال والنساء هم مجرد -والدين- وتنتهي مهمتهم في حدود الجنس، الوالد يقوم بمعاشرة الوالدة، وكأنها مجرد مهمة بيولوجية جنسية، وبعد ذلك تنجب له ولده، الذي ينتسب للوالد وللوالدة برابطة التوالد والنسب فقط، وقليل منهم من كانوا -آباء- وقليل منهم -أمّهات- لعدم قيامهم بواجباتهم نحو أبنائهم، فقد غدّوهم بالطعام والشراب فقط، ولم يتم تغذيتهم بالأخلاق والآداب والفضائل والقيم والدين -وهنا آسف أن أقول أنه لا فرق بين البهيمة وهذا الولد- لذلك أن تكونوا آباء وأمّهات هذا شرف كبير من الله تعالى، لا يناله الوالدون الذين يكتفون بوظيفتهم البيولوجية فقط.

وحقّ نعلم جيّداً أنّ اللقيط له والد والدة، ولكن ليس له أب ولا أم، كما أن للحيوان والد ووالده أيضاً، والطفل له والد ووالده، ولكن ليس المهم الإكتفاء بالإنجاب وفقط، المهم التربية والمتابعة والإحسان، وهذا الفضل كلّه ينسب للأب وللأم وليس للوالد والوالدة.

قال تعالى: "وقل ربّي إرحمهما كما ربياني صغيراً" (الآية رقم ٢٤ من سورة الإسراء) ولم يقل: "كما أنجبوني" أو "خلفوني"، بل قال: "ربياني"، يا رب إرحمهما لأنّهم ربّوني، لذلك يكون برّ الأبوين لأنّهم إهتمّوا بتربية أبنائهم.

وبهذه المناسبة.. فإني أتوجه بكلماتي هذه إلى من أنجبوني وعلموني وربّوني.. إلى أمي الحبيبة (ليلى خالد كفاية) إلى أبي الحبيب (نبيل سليمان كبها) وأقول لهم:

إن قلت "شكراً"، فشكري لن يوفيكم حقّاً، لقد كان سعيكم معي منذ ولادتي وحتى وفاتي مشكوراً ومباركاً، وإن جف حبري عن التعبير، يكتب قلبي كل أحرف الشكر والتقدير..

اللهم.. اغفر لأبي وأمي مغفرة تمحوا بها سالف أوزارهم، اللهم وارحمهم رحمة تُنير دروبهم وقبورهم، وتؤمّنهم بها يوم الفزع عند نشورهم..

اللهم.. تحنّ على ضعفهم كما كانوا على ضعفنا مُتحنّين، وارحم انقطاعهم إليك كما كانوا لنا في حال انقطاعنا إليهم راحمين، وتعطف عليهم كما كانوا علينا في حال صغرنا مُتعطفين..

اللهم.. واحفظ ذلك الود الذي اشريته قلوبهم، والحنان الذي ملأت به صدورهم، واللفظ الذي شغلت به جوارحهم..

اللهم.. وجازهم على ذلك السعي الذي كانوا فينا ساعين، والرّعي الذي كانوا فينا راعين، أفضل ما جزيت به السّعاة المصلحين والرّعاة النّاصحين..

اللهم.. آمين.. آمين..

تمهيد ١

كان الفيلسوف المثالي اليوناني (أفلاطون) يعتبر المرأة كائناً ناقصاً، حيث كان يرى أن "الأنثى" هي "أنثى" بسبب نقص في الصفات، بينما أستاذهُ الفيلسوف الطبيعي اليوناني (سقراط) شاهد في أحد الأيام امرأة مشنوقة على إحدى الأشجار، فقال: "يا ليت كل الأشجار تحمل مثل هذه الأثمار".

أمّا -أنا- العبد الفقير الى الله، فإني أقول للمرأة: "المرأة.. هي مدينة الرجل، يرتشف فيها قهوته المكسيكية، ويرزح فيها تحت أسطوره الهندية، يفتش عنها وهو فيها، وكأنها خيط رفيع بين الفانتازيا والوجودية".

تمهيد ٢

هناك عوامل لإطلاق الحضارة، وهناك أخرى للإنحطاط بها، ولكي تهدم أي حضارة عليك بتقويض أربعة أعمدة:

١- هدم الأم: وذلك بتغييب دورها الرئيسي الذي خلقت من أجله، ألا وهو "الأمومة"

وما يتعلق به من حمل ورضاعة وحضانة ومتابعة وتربية وتعليم.

٢- هدم المعلم: وذلك بالتقليل من شأنه ومكانته، وجعله من أدنى الأجور

والمستويات والطبقات في السلم الوظيفي، لينهشه الحزن والخجل بنيانه لكونه -

معلم- وأمام سفاهة طلابه التي تصل الى حدّ الشتيمة والضرب دون أي اعتبار أو

احترام له.

٣- هدم القادة: بأن تولّي ذكراً هائجاً وضائعاً وجاهلاً لقيادة وريادة الدولة أو المنصب،

مِمّا يعمل على خلق نظام يُعمّه الفساد.

٤- هدم المرجعية: بأن تزندق العلماء والمفكرين ورجال الدين والمشايخ، وتطعن

وتشكك فيهم، وتأسر فريقاً منهم، وتعدم آخرين.

إن العمل على "دك الأم، وهدم المعلم، وإسقاط القادة، وتغييب المرجعية"، يقود إلى

إنحطاط الحضارة أيّاً كانت.

وفي كتابي هذا سأحدث عن العمود الأول لإطلاق أي حضارة فكرية ومعرفية ودينية

وأخلاقية وفلسفية، ألا وهي "الأم".

وهنا أوجه كلماتي الى "أمي"، وأقول لها:

يا حياتي.. قدميني لارتحالي، احضنيني بالورود، احمليني للمعالي، ودعيني للخلود

أمي يا حياتي.. عانقيني، قبليني، وانفثي في جسدي لعل الله يرحم روحي الصاعدة إليه.

طفلك الصغير: محمد نبيل كبها.

تمهيد ٣

قبل أن أوغل في موضوع كتابي الرئيس، سأحدث قليلاً عن العمود الثاني لإطلاق الحضارة وبناء الأجيال، ألا وهو "المعلم"، وعن دوره في صناعة الأجيال.

في أحد محطات العالم الفيزيائي الألماني (ألبرت آينشتاين) وتحديدًا في عام ١٩٢٢م، حيث سافر في هذا العام إلى اليابان، وتزامن ذلك مع إعلان فوزه بجائزة نوبل للفيزياء، وأثناء تواجده في الفندق لم يجد معه مالاً ليعطيه للخادم الذي جلب له الشاي، فأمسك ورقة بيضاء، وكتب فيها جملة، ثم مضى عليها، ثم أعطاها للخادم ونصحه بالإحتفاظ بها.

مرت الأيام.. وتوفي آينشتاين عام ١٩٥٥م، وبعد مرور ٩٥ عاماً على وفاته، وتحديدًا في تاريخ ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٧م، إتصل أحد أبناء أخوة عامل الفندق الذي كان يقيم به آينشتاين بإحدى دور المزادات، لطرح الورقة التي وقعها آينشتاين وأعطاه للخادم في المزاد، إبتدأ المزاد بالمشتري الأول والذي دفع "٢٠٠٠ دولار" وبعد ٢٥ دقيقة وقف المزاد على مبلغ "١,٣ مليون دولار".

يا إلهي!! يا ترى ماذا كتب آينشتاين في هذه الورقة؟ إتضح لاحقاً أنه كتب فيها يقول:
"حياة هادئة ومتواضعة تجلب قدراً من السعادة أكبر من السعي للنجاح المصحوب بالتعب المستمر".

ننتقل إلى الضفّة الأخرى من الحكاية..

في عام ١٩٥٨م كان رئيس جامعة بغداد البروفيسور (عبدالجبار عبدالله) وهو أحد الطلاب الأربعة الذين تتلمذوا على يد العالم العبقرى -آينشتاين- في معهد ماساشوستس في الولايات المتحدة، وقتها حدث إنقلاب على سلطة (عبد الكريم قاسم) عام ١٩٦٣م والذي كان القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع ورئيس الوزراء، وأُعتقل حينها العالم الفيزيائي العراقي -عبدالجبار عبدالله- تلميذ آينشتاين في ذلك الوقت، وكان فيمن أُعتقلوا من كوادريسيين وأساتذة وأكاديميين وعسكريين.

عندما أفرج عنه هاجر إلى الولايات المتحدة، وعمل أستاذاً في نفس المعهد، ومنحه الرئيس (هاري ترومان) أعلى وسام في أمريكا، وهو وسام "العالم".

أحد زملاء الزنزانة كان يعرفه.. يقول في تلك الفترة إنه كان يشاهده مستغرقاً في تأملاته وهو يبكي، وذات يوم تجرّأ وسأله عن سبب بكائه، فأجاب العالم -عبدالجبار عبد الله- قائلاً: "عندما جاء الحرس القومي لإعتقالي، صفعني أحدهم فأسقطني على الأرض، ثم فتش جيوبي وسرق ما لدي، وأخذ فيما أخذ قلم الحبر الذي أهداني إياه أستاذي -ألبرت آينشتاين- والذي كان قد مضى به على شهادة الدكتوراه الخاصة بي يوم أن سلمني إياها.. كان قلماً جميلاً من الياقوت الأحمر، ولم أكن أستعمل هذا القلم إلا لتوقيع شهادات الدكتوراه لطلابي في جامعة بغداد"، ثم صمت هذا العالم العراقي قليلاً، ثم أردف يقوق: "أتعلم.. لم تؤلمني الصفعة، ولا الإعتقال المهين، ما آلمني أن الذي صفعني كان أحد طلابي!!".

المثير في الحكاية من زاويتي هو أن الخادم الياباني -والذي ليس له علاقة لا بالإسلام ولا بالعروبة- كان يعلم شأن وقدر العالم -ألبرت آينشتاين- واحتفظ بقصاصة الورق التي مضى عليها لأحفاده، بينما رجل الأمن -الذي هو من جلدتنا وعوربتنا وإسلامنا- أهان البروفيسور العراقي -عبدالجبار عبد الله- وقهره!! قهر آينشتاين العراق والعرب، وكسر قلم آينشتاين الألمان والغرب.

ولا يحدث هذا في العراق فقط، بل في الوطن العربي قاطبة، حيث يتم تدمير المعلم وهدم العلم والعلماء، والحرص على إنشاء جيل مهبول ومشطوب يساهم في إنهيار وإنحطاط الأمة.

وللحق أقول.. أنه لا يمكن صنع الأجيال إلا في مصنع المعلم.

علينا أن نصنع الأبطال، ولا يصنع الأبطال إلا بصنع الأجيال، ولا يصنع الأجيال إلا بمصنع المعلم، ومن هنا يجب الإهتمام بالمعلم كي نصنع جيلاً من القادة والأبطال، وليس جيل مخنثاً ومُعَوَّفاً فكرياً، وهذا يتطلب في البداية الإهتمام بمكانة المعلم وتقديمه على الجميع "المعلم قبل المهندس والطبيب، المعلم قبل المسؤول والوزير"، المعلم أولاً، المعلم ثانياً، المعلم ثالثاً، ثم إختاروا من تشاؤون بعد المعلم..

الرّوائي والكاتب المصري (نجيب محفوظ) كتب مرّة يقول: "يملك المُعلّم أعظم مهنة، إذ تتخرّج على يديه جميع المهن الأخرى".

لا يُمكن إنفاذ مظاهر الرّقي العلمي والأدبي والفني والإجتماعي إلا من خلال يد المُعلّم، فهو ثانٍ عمود وركيزة -بعد الأم- لبناء هذا الرّقي، ومُستقبل أبنائنا والجيل بأكمله بين يديه، وأبنائنا هم المُستقبل الغالي والنّفيس الذي نُراهن عليه.

نحن نريد إنشاء جيل مُتعلّم ومُفكّر، وليس جيل مُتخلّف وشاذ، نحن نشتهي إنشاء جيل يبني ولا يهدم، جيل يُنتج ولا يستهلك، جيل يكتشف ويخترع، لعلّ وعسى يخرج لنا "تسلا العرب" و "دوستويفسكي المسلمين".

السياسي البارز ورئيس وزراء سنغافورة الأسبق (لي كوان يو) الذي قيل عنه أنه مؤسس سنغافورة وصانع نهضتها خلال قيادته لها لثلاثة عقود -إعتبره البعض الزعيم الروحي لها- يُنسب له الفضل أنها وصلت إلى مصاف الدّول الأكثر ثراءً في العالم من حيث نصيب الفرد، قبل أن يتنحّى عن منصبه عام ١٩٩٠م، كتب مرّة يقول: "أنا لم أقم بمعجزة، أنا قمت بواجبي فقط إتجاه وطني، فخصّصت موارد الدّولة كلّها للتعليم، وقمت بتغيير مكانة المُعلّم من طبقة بائسة إلى أرقى طبقة في سنغافورة، وعندما غيّرت مكانة المُعلّم صنع المُعلّم المعجزة، فلست أنا من صنع المُعجزة، وإنما المُعلّم، فهو من أنتج جيلاً أخلاقياً يُحب العلم بعدما كنّا شعباً يشتم بعضه في الشّوارع".

في النّهاية:

أنا أطالب كل القائمين والمسؤولين على السّعي بالاهتمام في المُعلّم وترقية مكانته، لكي يقوم بدوره في غرس الفكر والعلم والتربية في أبنائنا، وليس قتل الجيل وضياعه، فنحن لا نريد بناء مركب من الحمقى والجهلة والمخنثين والشّاذين.

لذلك أقولها بأعلى صوت: "لا تُدمّروا أبنائنا.. فأنتم عندما تُدمّرون المُعلّم فإنكم تدمّرون أبنائنا.. لا نريد إعدام أبنائنا وهم على قيد الحياة".

المقدمة

انشغلت "النسوية" بقضايا المرأة المرتبطة على اساس النوع، حيث لعبت في غضونه دوراً هاماً ومحورياً في مباراة مكونة من فريق واحد ضد نصفها الآخر، فأشعلت حربها ضد الرجل وقضيبه، باغية القضاء على جنسه ودوره في المجتمع، تهوّل من رماد جوهرها الغير عادل، نحو فرزها الطبقي وبثه في قلب نظام عالمي طردت منه الرجل، وأقصته وظيفياً وثقافياً واجتماعياً وانسانياً وفكرياً وعاطفياً وجنسياً.

كما وأنها قامت باغراق الرجل في بحر من أشكال العبودية، حيث مارست عليه كل الوان القهر، ليس على الصعيد الفكري والسيكولوجي فحسب، وإنما الروحي والجسدي، لينظر الرجل في ذكورته بعين الشك، وفي قدرته وإمكانياته الطبيعية للاقتراب منها داخل فراش الزوجية.

لقد حققت المرأة -تحت جناح النسوية- نفوذها وسطوتها في أرضية الأسرة والمؤسسة الزوجية، الأمر الذي حد من إمكانية تعايشها مع زوجها، إزاء قبولها للعيش في علاقة مع امرأة أخرى من ذات جنسها، بغية حفاظها على سلطتها الفكرية والجسدية داخل البيت وخارجه.

والمرأة الآن هي كما كحارس مرمى يدافع عن أفكاره تحت كل الظروف سواء كانت صحيحة أم خاطئة، مطمئنة تحت سيطرة النسوية وتسلطها المطلق وحمائتها لها كولي أمرها تحت كل الظروف، لتتحول إلى كائن تابع، وخادمة بلا أجر، ووسيلة جنسية مع نفسها او مع نفس جنسها لا أكثر.

ورغم مساعي الرجل للتنقيب عن سبل الخلاص، إلا أن الحركات النسوية قد نجم عنها كدم الوعي وكيه لدى المرأة لدرجة غائرة، والتي نبت عنها إنجلاء أيديولوجي وتنظيمي وإداري موجه ضد الرجل، مما سبب في إضرار الحرب العالمية بينهما.

ويأمل الرجل المعاصر في زمن النسوية التقليل والتخفيض من فورة الهجوم الذي يتعرض له من قبلهن، عبر الشروع في تنظيم الخطب والمحاضرات، وصنع البرامج والأنشطة التي تهتف بدور الرجل المهم والرئيس في الاسرة والمجتمع، وتعطيل النسوية التي تسعى الى التقليل من قيمته وقدرته ودوره وهدفه في هذه الحياة.

فالرجل هو في باكورة الأمر إنساناً، ثم مواطناً كريماً، ثم أباً وإبناً وجدّاً وعمّاً وخالاً، ثم رجل خلقه الله -سبحانه- ومنحه حقوقه الشرعية والمدنية كما المرأة.

في ختام مقدمتي أحب أن أقول:

"حملت قلبي لتشييد هذا الكتاب انطلاقاً من حقائق ووقائع عن مدى معاناة الرجل والظلم الذي وقع عليه في الأسرة والمجتمع من قبل النسوية، لأن النسوية تتحدث عن مساواة بينها وبين الرجل، ولكن في الحقيقة -النسوية- لا يعاملن الرجال على قدم المساواة، فتاريخ الحركة النسوية منذ ولادتها إلى الآن هو السرد الزمني للحركات والأيديولوجيات التي تهدف إلى عدم المطالبة المتساوية بالرجل، والتي تعبر عنها بثقافة حملت صورة سلبية ومشوهة عن الرجل، الأمر الذي انعكس في واقع اجتماعي محتقن بالتمييز والضد والتقليل من شأنه وإهدار حقوقه، بل وإلغاء دوره في هذه الدار".

وأخيراً أقول: "أصبحت النساء في المجتمع من ينظم شؤون ودور الرجل ويحدد أولوياته حسب رؤيتهن واهتماماتهن ووظائفهن، لذلك يمكن اعتبار الحركة النسوية أنها جاءت لكي تطالب بحقوق المرأة أو لتحقيق المساواة بينها وبين الرجل على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتعليمي وغيره، ولكنها جاءت لفرض نطاق محدد للرجل وتصغير قدراته في كل المجالات، بل ومنهن من تطرفن إلى حد قمن به بإلغاء الرجل أصلاً من هذه الحياة، وهذا ليس من المساواة ولا من العدالة في شيء".

قبل أن نبدأ

في رواية "حرب الفيمينست الأخيرة" للكاتب السوري (منذر السليمان) تحدث فيها عن وباء أدى إلى انقراض الذكورة، هذا الوباء هو "الفيمينست"، حيث أن الذكور -الرجال- كانوا يعانون حيال حروب شنتها عليهم النسوية، ذاقوا فيها أبشع أشكال وألوان الفساد والإضطهاد دون أي رادع أو رحمة.

تحدث القصة في مجملها عن انتشار وباء خطير وغامض -كوباء كورونا- ينال من احد الرجال ويفتك به تزامناً مع حمل زوجته بطفل من صلبه، فما كان من الزوجة إلا أنها هربت واختفت، حتى عُثِر عليها من قبل مجموعة من الفيمينست الكارهاات للجنس الذكري، فقمن باختطافهما.

البطل في الرواية هو "آدم"، وهو الذكر -الرجل- الوحيد الموجود على هذه البسيطة، حيث تكون مهمته هي إنقاذ الجنس البشري من الإنقراض، اثر وباء قضى على كل ذكور ورجال الأرض من قبل المرأة -وباء النسوية- حيث يكون دور المرأة في القصة هو القضاء على الذكور بكل الطرق والوسائل، حتى لو كان الثمن هو استعمال جسدها واستخدامه طُعماً من أجل استدراجه ومحقه، وبالفعل، تم القضاء على كل الجنس الذكري من قبل النساء.

في منتصف الرواية وبعد إعدام الجنس الذكري من كل الحياة على يد الفيمينست، عانت النساء من الوحدة القاتلة، ولكن سرعان ما بُهتَن بوجود ذكر -رجل- وحيد يتربع على صحن هذا العالم، إزاء وباء الفيمينست الذي أجهض كل جنسه.

تكون مهمة هذا الذكر الوحيد "آدم" هو إنقاذ البشرية من الزوال، فيحاول النساء بكل السبل الممكنة ولو من خلال نطفة -حيوان منوي- منه، أو حتى عن طريق اغتصابه أن يحملن منه كي لا تنقرض البشرية.

هذه الرواية باختصار...

وفي رأيي.. العالم الآن يسير بهذا الاتجاه، حيث تحاول الحركات النسوية "الفيمينست" تحقيق ذلك، لتتحول هذه الرواية الفانتازية من خيال الى واقع.

نبدأ.. مشكلتي مع باربي

ما هي مشكلتي مع باربي؟

كانت بداية باربي كدمية صغيرة "طفلة رضیعة" مصنوعة من الصوف، تشتريها الأمهات لبناتهن كي يعتنين بها، وكانت الطفلة الصغيرة تعامل باربي وكأنها أم لهذه الدمية، تُلقمها الرضعة وتطعمها، وتلبسها، وتسرح لها شعرها، وتُمخضها بالطيب، وتُداعبها، وتقوم برعايتها حتى يحل الظلام، فتحملها برفق بيديها الحانيتين وتضعها على السرير، ثم تقربها من حضنها، وتقص لها حكاية ما قبل النوم حتى ينمن معاً جنباً لجنب.

وهذا بالنسبة لي جميل، لأن باربي في بداياتها كانت تزرع في الفتيات الصغيرات كيف يصبحن أمهات ومربيات فاضلات، ولكن الموضوع أخذ منعطفاً حاداً بعد ذلك.

في عام ١٩٥٩م قامت سيدة الأعمال الأمريكية (روث هاندلر) بعرض باربي جديدة على ساحة الألعاب، حيث كانت تختلف تماماً عن تلك الباربي -الطفلة الرضیعة البریئة المصنوعة من الصوف- قامت (روث هاندلر) بالتعديل على ملامحها ونحت جسدها نحو امرأة بالغة مصنوعة من البلاستيك، وأطلقت على هذه الدمية إسم (باربي) نسبة إلى إسم ابنتها (بربرا).

ولم تتوقف المسألة هنا، بل أظهرت (روث هاندلر) باربي البالغة بأشكال وحرف متعددة، على أنها مهندسة، وأخرى على أنها طبيبة، ومرةً كتاجة ومن ثم كعارضة أزياء وراقصة، أظهرتها بكل الألوان والمهن والأدوار إلا دور واحد، ألا وهو "الأم".

حققت (روث هاندلر) أرباح هائلة من وراء بيع لعبة باربي الجديدة، حيث كان يباع منها "١٠٠" لعبة في الدقيقة الواحدة، وأصبحت الفتيات مهووسات ومسكونات ومصروعات في باربي، ويطمحن أن يصبحن مثلها، ينظرن إليها كل النظرات بإستثناء نظرة واحدة، ألا وهي أن يكونوا أمهات.

فاقت المسألة متون سماء الألعاب، حيث قامت (روث هاندلر) بإصدار باربي جديدة مع أزياءها الداخلية والمثيرة، وهنا أصبحت باربي تؤثر سلباً على عقول الفتيات، لذلك قامت بعض الدول العربية بمنع إستيردها وبيعها، فردت (روث هاندلر) على ذلك بإصدار باربي مسلمة بالزي الشرعي -بالحجاب والجلباب- خاصة بالشرق الأوسط، وأطلقوا عليها إسم "فُلة"، ولكن فُلة وبعد مرور الوقت ظهرت بلباس جديد -بتنورة قصيرة وغطاء على الرأس- ثم من غير غطاء على الرأس، وهكذا تدرجوا فيها حتى أصبحت فُلة تماماً كباربي..

إنني أعتقد على الصعيد الشخصي أن هذا الفكر مدروس، والغرض منه تدمير عقول فتياتنا، وياليت توقف الأمور على هذا النحو عند هذه الدمية الخالية من النفس والروح.

الممثلة الأمريكية (غريتا غيروينج) قامت بنقل باربي من دمية إلى شخصية حقيقية، فراسلت شركت "هوليوود" وأخبرتهم برغبتها في إنتاج فيلم يتحدث عن باربي، هوليوود رحبت بالفكرة، وروجت له بشكل غير طبيعي وخصوصاً لفئة الأطفال، وحسب الإحصائيات التي طالعته، كان فيلم "باربي" أكثر فيلم في تاريخ السينما يتم الترويج له، حتى أنه تم تغيير ملامح بعض المناطق في بعض المدن بالكامل من أجل إنتاج الفيلم، وكان اللون السائد فيها هو الزهري، ولقد حصد على أعلى الإيرادات في شباك التذاكر في السينما.

أنا شاهدت فيلم "باربي" والذي أنتج عام ٢٠٠٩م، وتم عرضه لأول مرة في قاعة الضريح في لوس انجليس في ٩ يولييه ٢٠٢٣م، حيث أدى دور باربي الممثلة المشهورة (Margot Robbie) وهو من وجهة نظري فيلم سيء ومقزز جداً، يتحدث عن مجتمع أنثوي بحت، وفي هذا المجتمع الرجال هم المشكلة.

فكرة الفيلم تتمحور حول التخلص من الرجل، لكي تعيش الأنثى حياة أفضل، حيث يكون (كين) والذي أدى دوره الممثل المشهور (Ryan Gosling) هو الشخصية الشريرة، وكين في الفيلم يمثل كل الرجال، وباربي تمثل كل النساء.

الفيلم باختصار يتحدث أن باربي تحاول الفرار من -كين- الذي يمثل كل الرجال الأشرار، بمعنى آخر -باربي تحاول الهرب من ظلم المجتمع الذكوري لأنها لم تتأقلم معه- وليس هذا فحسب، بل يتحدث الفيلم عن بعض الرجال المتحولون جنسياً، والذين يمثلون أيضاً شخص ودور باربي، بمعنى آخر -المتحولون من الرجال الى النساء يؤدون دور باربي أفضل من النساء أنفسهم- وهذه مصيبة!!

كلها أفكار مسمومة تدعم إلى الشذوذ والتحول الجنسي، وتدعم النسوية والجندرية وسيطرة المرأة على المجتمع.

فليرضى من يرضى وليسخط من يسخط، إنني أقولها علناً: "لقد تم تدمير أطفالنا وفتياتنا ونسائنا على يد باربي، لذلك انتبهوا على أطفالكم من مشاهدة هذا الفيلم ومن شراء هذه الدمية، لأنهم يدسون السم بالحلوى على يد باربي".

كما أنني أضيف وأقول: "فيلم باربي يبعث بفكرة محورية، وهي أن باربي خلّصت المرأة في المجتمع من السلطة الذكورية، وأصبح المجتمع أنثوي بامتياز، كما أنه يزرع في عقل الإنسان أن المرأة محور ومركز هذا الكون، والتي استطاعت من خلاله تغيير دور الرجل فيه، فأفقدته أهميته وذاته وأصبح كجثة متحركة يدور حول العالم بلا هدف ولا معنى، ليس له دراية وعلم بأي شيء سوى أن يركض خلف باربي -المرأة- كي يأخذ صكوك الرضى ويشعر بقيمته في هذه الحياة، وكأن باربي -المرأة- هي السبب في معرفة الرجل لكيونوته ومعناه في هذا العالم، وهذا سخف أنا أرفضه تماماً، لأنه لا يوجد تكامل في أي مجتمع إلا بالرجل والمرأة معاً، لا يُبنى مجتمع على يد المرأة لوحدها، ولا على يد الرجل لوحده، بل على يديهما معا جنباً لجنب".

كما أنني أزيد على ذلك وأقول: "أتعلمون أن دور الرجل الوحيد في هذا الفيلم السخيف هو أنه كان يحب باربي! ويركض خلف إستها لترضى عنه! لا يوجد دور للرجل في هذا الفيلم - أي في المجتمع- سوى أنه كان كالكلب يلهث خلف إست الأنثى! حتى دور الرجل الوحيد في هذا الفيلم الأحمق جعلوه في خدمة الأنثى!".

خلاصة حديثي يا باربي هي: (إن فيلم -باربي- حصد على مليار دولار في أول أيام عرضه، وحصل على أعلى إيرادات في تاريخ السينما، ولكنه دمر المرأة، وأفقدتها أهم دور جاءت به إلى هذه الحياة، وهي أن تكون "أم"، أن تكون مربية، قال تعالى: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (الآية رقم ٧٤ من سورة الفرقان) يقول الإمام البغوي في تفسير كلمة ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أي: "أولاداً أبراراً أتقياء، صالحين تقرأ أعيننا بهم"، وقال القرظي: "ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل"، وقاله الحسن أيضاً".

وأختم هذه الجزئية بهذه العبارة: "أنا لست ضد المرأة، ولكن فقدان المرأة لدورها الأساسي والمركزي التي خلقت من أجله -وهي أن تكون "أم"- هو ضياع المرأة، وضياع المرأة هو ضياع الجيل بأكمله".

النسوية " فيمينزم "

من باربي إلى النسوية " فيمينزم " .. ما هي النسوية؟

هي حركة غربية منظمة لصالح حقوق المرأة وجلب مصالحها، وتعرّف أيضاً كنظرية يراد من خلالها تحقيق المساواة بين الأنثى والذكر، وتحديدًا على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

إستخدم هذا المصطلح -النسوية " فيمينزم " - لأول مرة باللغة الإنجليزية في القرن ١٩، على اثر إنطلاق حركة تدعوا للمساواة بين الجنسين في العالم الغربي، علماً أن بداية صك مصطلح النسوية " فيمينزم، الفيمينست " وصياغته كانت في اللغة الفرنسية عام ١٨٣٧م على يد الإشتراكي والفيلسوف الفرنسي (شارل فوريه) حيث اشتق المصطلح من الجذر اللاتيني "Femine".

قبل ذلك وتحديدًا في الستينات والسبعينات، كانت النسوية عبارة عن تيار أكاديمي معرفي يلوح في الجامعات الغربية، حيث كانوا يدرّسون الهيمنة الذكورية على المرأة، وتنحيتها ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وفي عام ١٨٤١م لم تكن النسوية كمفهوم تتحدث عن تحصيل حقوق المرأة، بل كانت ترتبط بالمفهوم الأنثوي والجسدي للمرأة، لكن بعد ذلك، أخذت تدافع عن المرأة وتطالب في تحصيل حقوقها وتنادي بالمساواة ما بين الجنسين، وكان ذلك ابان نداء الأدباء والمفكرين بحقوق الإنسان في عصر التنوير في أوروبا والثورة الفرنسية، لتستغل المرأة هذا النداء، وتقوم بدورها بإستقاء الأفكار السياسية والإنسانية والاجتماعية المتعلقة بحقوق الإنسان.

شرعت في نحت أفكارها الخاصة التي تطالب فيها بوقف التمييز والمساواة بين الجنسين، ولقد كانت الكاتبة البريطانية (ماري وولستونكرافت) المناصرة لحقوق المرأة من بين من تأثروا بالكتابات الإنجليزية التي تطالب بحقوق الإنسان، وخصوصاً كتابات الكاتب الإنجليزي (توماس بين) المدافع الأبرز عن حقوق الإنسان في تلك الفترة، والذي ألف كتاباً كاملاً يتحدث فيه عن حقوق الإنسان، لتنتهز الفرصة -ماري- وتمشي حذوه مشيدةً كتابها الذي عنونته "دفاعاً عن حقوق المرأة" عام ١٧٩٢م، والذي دافعت فيه بشراسة عن حقوق المرأة فقط بعيداً عن الإنسان!

كما كانت الكاتبة الإنجليزية (فرجينيا وولف) والتي تُعتبر من أيقونات الأدب الحديث للقرن العشرين، قد كتبت عن الحركة النسوية والظلم الذي تعرضت له المرأة الغربية في المجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، وكذلك الروائية البريطانية (جين أوستن).

ثم ظهرت "نساء اليعاقبة" اللواتي طالبن بحقوقهن في فرنسا، وتوالى هذه الصيحات حتى تعدت خطوط الأدب، فقمنا بإصدار إعلان بعنوان "حقوق المرأة" إزاء إعلان "حقوق الإنسان" الذي أصدرته الجمعية التأسيسية الوطنية الفرنسية عام ١٧٨٩م، حيث نظرت المرأة إلى هذا الإعلان وكأنه يدعو لحقوق الرجل فقط.

كانت المرأة الأوروبية حينها تحت وطأة التمييز والطبقية، وكانت تابعةً وأشبه بعبدة مملوكة للرجل في أوروبا، وكانت في ذات الوقت تضطهد من الاستعمار الغربي والأوروبي.

والحقيقة هي أن سبب ظهور النسوية يرجع إلى النظام الغربي البطريركي الذي تكون فيه المرأة مجرد تابعة ثقافياً وفكرياً وعلمياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً للرجل، حيث حمل هذا النظام في صفحاته صورة دونية عن المرأة في أوروبا، بأنها كائن من الدرجة الثالثة يتم إقصائها وتهميشها في مختلف المجتمعات الغربية إزاء الرجل الذي يحمل الدرجة الأولى في المجتمع الأوروبي، ولقد سادت هذه النظرة الناقصة للمرأة وما زالت تسود أوساط المجتمعات الغربية منذ قرون طويلة، وخصوصاً في القرن السادس عشر الذي ظهرت فيه الرأسمالية، حيث كان هذا النظام هو السبب الرئيس في ترسيخ المفهوم الأبوي والفارق الطبقي بين الذكر والأنثى في أوروبا.

تجلى ظهور الحركة النسوية بعد عصر التنوير في أوروبا واندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، علماً أن الثورة الفرنسية لم تلقي بالاً للمرأة وحقوقها، ولكنها دفعت النسويات نحو المطالبة بحقوق المرأة ومساواتها بالرجل، وكانت بداية إنطلاقها في العالم الغربي مع حلول القرن التاسع عشر إبان الإرهابات السياسية والاجتماعية التي مرت بها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر، وفي الوقت الذي تزامن فيه تحرير العبيد في الولايات المتحدة وانتشار الاشتراكية في أوروبا، حيث أخذت النسوية بالانتشار كالسرطان، وعبرت حدود أوروبا والولايات المتحدة وتجاوزتهما نحو أرجاء العالم.

حطّت النسوية أقدامها في العالم العربي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولكنها لم تُستقبل بحفاوة إلا في بداية عقد الثمانينات من القرن العشرين.

وحسب اطلاعي على التاريخ النسوي، فإنني أجد النسوية "الفيمينزم" قد مرّت عبر التاريخ بأربع محطات لمعت من خلالها، الأولى كانت بدايتها مع انعقاد مؤتمر "سينيكا فولز" في نيويورك عام ١٨٤٨م، والذي يعد أول مؤتمر يُعقد لمناقشة حالة المرأة على الصعيد السياسي والقانوني، والذي كان ذروته في القرن الـ١٩ وبدايات القرن الـ٢٠، وكان التركيز فيه على نيل السلطة السياسية وحققهن في التعبير والإقتراع والتصويت، فطالبن في المشاركة السياسية واكتساب الحقوق القانونية، وانتهت هذه المحطة بتصويت الولايات المتحدة لصالح المرأة، وإعطائها حقها في التصويت والاقتراع في جميع الولايات المتحدة.

أما المحطة الثانية كانت في ستينيات وسبعينيات القرن الـ٢٠، وكانت تبعاً للأولى، ولكنها كانت أكثر عمقاً في طرحها ومطالبها، حيث دعت إلى العمل ضد سلطة الرجال، والتعصب الذكوري، والتمييز الجنسي، وضُبت فيها الإهتمامات نحو المساواة بين الجنسين في العمل وفي التعليم، وانتهاء التمييز بينهما في المجتمع، كما ودعت إلى تركيز المرأة على نفسها وشخصيتها وحياتها، بالإضافة إلى أنها ركزت بشكل محوري على قضايا النوع الاجتماعي، أو ما يعرف "بالجندر" والذي تقوم فكرته على أن البناء الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية هي من تحدد "الرجل أو المرأة" وليس الجنس، فلا يعني أنه إذا كان المولود من الجنس الذكري أنه "رجل"، أو إذا كانت المولودة من الجنس الأنثوي أنها "امرأة"، وإنما يصبحان كذلك بفعل التنشئة الاجتماعية، فمن يحدد هوية الرجل أو المرأة ليس الجنس وإنما البيئة والبنية والتنشئة الاجتماعية، وعليه يمكن تغييرهما وتحديد هوية أخرى للرجل أو المرأة.

قوبلت هذه المحطة بالهجوم العنيف، وخصوصاً في ظل طرحها لفكرة "الجندر" والذي حاولت من خلاله إلغاء الجنس وقلب هوية وصورة الرجل بالمرأة والعكس، فضلاً على خلقها لمجتمع مشوّه وشاذّ وغير سوي لا جنسياً ولا فكرياً، لتذوق الفشل الذريع، وتُسَلّم الرؤية النسوية للمحطة الثالثة، والتي كانت في تسعينيات القرن الـ٢٠، والتي ظهرت كردّ فعل على فشل النسوية وسقوطها في المحطة الثانية.

قامت -المحطة النسوية الثالثة- بتنقيح أفكار المحطة الثانية، وطرحت بالمقابل فكر نسوي بصورة عامة يكون مقبول للعالم أجمع، فركزت على ما يعرف "بالنسوية التقاطعية" حيث تحدثت فيه عن التقاطع ما بين العرق والجندر، فقمنا بالإهتمام بالنساء ذوات البشرة الملونة، وضمننا تحت جناحهن كل ألوان وأشكال وأعراق النساء حول العالم "البيضاء، السوداء، السمراء، الشقراء، الغربية، العربية، اليهودية، المسيحية، البوذية، المؤمنة، الملحدة"، ثم انتقلنا الى دول العالم الثالث "العربي الإسلامي" وقمنا بصب كل أنواع الاهتمام للمرأة في دول العالم الثالث لأنهن يعشن على هامش الهامش.

ولكنها -النسوية- تطرفت في أفكارها إلى حد الإزعاج، حيث دعت إلى المساواة المطلقة مع الرجل في كل شيء، وزرعت الجندرية، واستمرت في تطرفها إلى حد تمردت فيه على الرجل -الذكر- فسعت بكل حيلة ووسيلة إلى إعدامه وطمس دوره في المجتمع كلياً.

ثم جاءت المحطة الرابعة والأخيرة، والتي كشفت فيها النسوية عن وجهها الحقيقي، حيث دخلت بخصومة مع الله سبحانه، ونافسته على عرشه وشرعه وفرشه، فقامت بنسخ شرع وخلق آخر يتناسب مع هواها ومصالحها.

قامت الحملات النسوية الغربية ببث أفكارها على أنها روح مقدسة لا تتجزأ، وينبغي الإيمان بها كالإيمان بأركان عقيدتنا جملة وتفصيلاً، ولقد احتذت النسوية العربية بالغربية، فحملت الراية وغرستها في تربة مجتمعنا العربي الذي يختلف نسيجه وتركيبه ومرجعياته عن المجتمع الغربي من أصله.

كان للنسوية إنجلاء حقيقي في العالم الغربي قبل فترة السبعينات، لكن منذ نهايات عقد السبعينات وبداية عقد الثمانينات بدأت النسوية بالتشكل النوعي في العالم العربي، حيث تغلغت -النسوية- في العالم العربي من خلال الفكر العربي مع قيم الثورة الفرنسية، إذ انتقلت قيم الثورة الفرنسية "كالحرية والمساواة" الى الضفة العربية مع حملة القائد العسكري الفرنسي (نابليون بونابارت) لمصر عام ١٧٨٩م، ثم ارتحلت -القيم- بعدها مع الحملات الفرنسية العسكرية لاستعمار الدول العربية -كسوريا ولبنان والجزائر- أثناء احتلال فرنسا لتلك الدول، وفي حلول النصف الأول من القرن العشرين، لم يكن للنسوية بروز مؤثر في العالم العربي لإنشغال العرب بالإنفكاك من الإستعمار وبالقضية الفلسطينية.

وأثناء الحراك العربي السياسي الذي طالب بحريته واستقلاله من الاستعمار في بدايات القرن العشرين، راح يصرخ أيضاً بحرية المرأة وحقوقها.

لكن بعد ذلك، أضحت النسوية حقلاً فكرياً من الحقول المعرفية التي تدرس في الجامعات العربية، حيث تحدثت تخصصات الآداب "العربي، الغربي، الفرنسي، وغيرها" والنقد الأدبي، والعلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي، والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع إلى دراسة النسوية كمنهج، ولاحقاً استحدث علم في الجامعات العربية متخصص في دراسات المرأة، والذي يتحدث ويهتم بشكل رئيسي ومباشر بالنسوية.

وأثناء نمو الاهتمام العربي بالتعليم، ووفود الطلاب المبتعثين من الجاليات الغربية واختلاطهم بالعرب، تأثر الطلاب العرب بالنسوية، واعتنقوها كدين جديد.

ثم أصبحت النسوية كحركة اجتماعية سياسية لديها وجود مؤسسي حقيقي وواقعي في الكثير من الدول العربية، كما وتم إنشاء مؤسسة حكومية ووزارة كاملة في كل الدول العربية باسم "وزارة المرأة"، ثم تم استحداث دوائر ووحدات وإدارات عامة في المؤسسات والوزارات والهيئات "كالجنادر، والمرأة"، ثم تشكلت على اثر ذلك النقابات النسائية في مختلف الدول العربية، كالاتحاد الوطني للمرأة الفلسطينية، والاتحاد النسائي الأردني العام، والاتحاد العام لنساء اليمن، والاتحاد الوطني للمرأة التونسية، والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، والاتحاد العام للمرأة الموريتانية، ثم تم بناء مؤسسات نسوية خاصة في معظم الدول العربية، والتي تتلقى الدعم المادي من الخارج مقابل الدعوة للنسوية والتعريف بأفكارها، ومع انتشار الانترنت تم تشكيل تيارات وروابط على مواقع ومنصات التواصل الاجتماعي المسموعة والمرئية، والتي تبث من خلالها النسوية أفكارها ورؤيتها وخطتها ونشاطاتها واجتماعاتها.

والنسوية في زماننا الآن تعمل على حقوق المرأة والمساواة وغيرها من الأفكار التي تصب في حوض المرأة فقط "منها المقبول والمعقول، ومنها المتطرف، ومنها الشاذ" في ١٨٠ دولة، ولها أكثر من عشرات الآلاف من صانعات القرار والسياسات والأكاديميات حول العالم، وللحركة النسوية العالمية حوالي ٦٠٠ منظمة قديمة وحديثة، منها أكثر من ٦٠ منظمة عالمية، وأكثر من ١٥٠ منظمة أوروبية، وحوالي ١٠٠ منظمة أميركية، و ٢١ منظمة في أستراليا ونيوزيلندا، وحوالي ٧٠ منظمة في الأميركتين، و ٧٠ منظمة أفريقية، و ١٢٠ منظمة في آسيا.

هذه المنظمات تنظم وتدير وتقود عشرات الآلاف من الفروع والمكاتب التابعة لها في دول العالم، وتنفق عشرات المليارات من الدولارات سنوياً على مشاريعها وفعاليتها ونشاطاتها الممتدة وغير المنقطعة، عدا عن آلاف المؤسسات والمنظمات والجمعيات والهيئات الرسمية وغير الرسمية الاجتماعية والخيرية والثقافية والفكرية والفنية والإقتصادية والقانونية والأكاديمية التي تساند وتآزر بكل صرامة وبأس وجبروت أفكار ومبادئ وأعمال وأنشطة الحركة النسوية محلياً وإقليمياً عالمياً.

ولقد عاين العالم بأسره في القرن الـ ١٩ تنظيم ١٨ مؤتمراً خصصت حصراً للحديث عن المرأة في الولايات المتحدة وحدها، كما أبصر العالم في القرن الـ ٢٠ تنظيم ٤٥ مؤتمراً محلياً ودولياً حول المرأة، وشهد القرن الحاضر الذي نعيش فيه إقامة ٢١ مؤتمراً حتى الآن، كلها عن المرأة، جميعها تتحدث عن حقوق المرأة وتمكين المرأة في كل المجالات والمساواة المطلقة بين الجنسين.

لقد وصلت الحركة النسوية العالمية في وقتنا الحالي مكاناً وحداً لم تبلغه أي حركة في العالم!! حيث أن هناك مركز دولي يدعى ب (المركز الدولي لبحوث المرأة) International Center for Research on Women (ICRW) وهو مركز أميركي دولي تأسس عام ١٩٧٦م في واشنطن، ينفق أكثر من ١٢ مليون دولار سنوياً على دراسات تهدف إلى تمكين المرأة وتعزيز المساواة بين الجنسين، وفي عام ٢٠١٦م قدم المركز ورقة عمل بعنوان "نحو أمم متحدة أكثر نسوية" طالبت فيها الأمم المتحدة باتخاذ خطوات حثيثة لتمكين المرأة على المستوى الثقافي والعاطفي والسياسي والاجتماعي والدبلوماسي.

كما يوجد هناك منظمة تدعى ب (المنظمة الوطنية للمرأة) National Organization for Women (NOW) والتي تأسست عام ١٩٦٦م، وتعتبر أوسع منظمة للناشطات النسويات على مستوى الولايات المتحدة، وهي القدم الشعبية للحركة النسائية، حيث ينضم تحت رايتها أكثر من ٥٥٠ فرعاً في جميع الولايات الأميركية، ولقد وصل عدد أعضائها أكثر من نصف مليون عضو، وغايتها القضاء على التمييز وتحقيق المساواة بين الجنسين، وحماية المرأة، وتعزيز المثل النسوية، والحفاظ على حقوق النساء والفتيات في جميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجنسية.

كما أن هناك مؤسسة تعمل في جميع دول العالم، وتدعى ب (نبض العالم) World Pulse تأسست عام ٢٠٠٣م في الولايات المتحدة، والتي عملت على أحداث نقلة نوعية وكمية وانقلاب في أكثر من ٢١ مليون شخص حول العالم حتى هذه اللحظة، ويحمل رايتها ٨٠ ألف عضو في ٢٢٧ ألف منطقة في العالم، حيث تعتمد على التطور الرقمي والتكنولوجي لزيادة وتسريع الريادة والقيادة النسائية والمساواة بين الجنسين، وترفع شعار: "نحن الأخوات في جميع أنحاء العالم، نتحدث عالياً، ويرفع بعضنا بعضاً."

كما أن هناك منظمة باسم (منظمة المرأة الريفية في العالم) Associated Country Women of the World (ACWW) وهي عبارة عن رابطة بريطانية تأسست عام ١٩٢٩م، ويوجد فيها حالياً أكثر من ٩ ملايين عضو في أكثر من ٧٠ دولة، وتعد أكبر منظمة تشغل لصالح المرأة في الريف والمدن على مستوى العالم، وهدفها هو نقل مستوى حياة المرأة التي تعيشها في الصحة والتعليم والزراعة والمنزل للأفضل، وتعمل بالشراكة مع الأمم المتحدة لنيل أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠، ولها مجلس شورى مع منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) والمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة (ECOSOC).

كما وأن هناك منظمة باسم (معهد المرأة) Women's Institute وهي منظمة بريطانية تأسست عام ١٨٩٧م، وتعمل في كل الدول التي كانت تحت حكم الإمبراطورية البريطانية آنذاك، بالإضافة الى عملها بشكل خاص في بريطانيا، ولها في كندا ٦٧٠ فرعاً تضم أكثر من ٨ آلاف عضو، وترأسها الملكة (إليزابيث الثانية) ومن قبلها كانت أمها الملكة (إليزابيث) ولها في أيرلندا الشمالية ١٥٤ فرعاً تضم أكثر من ٥ آلاف عضو، ولها في نيوزيلندا ٢٤٥ فرعاً تضم أكثر من ٤ آلاف عضو، ولها في مقاطعتي ويلز وإنجلترا والجزر التابعة لبريطانيا أكثر من ٦٣٠٠ فرع، وتضم أكثر من ٢٢٠ ألف عضو، ولها أيضاً أذرع في أيرلندا الشمالية، ونيوزيلندا، وجنوب أفريقيا، وكندا، وغيرها.

كما وأن هناك منظمة باسم (جمعية حقوق المرأة في التنمية) The Association for Women's Rights in Development (AWID) وهي جمعية ومنظمة نسوية أميركية وعالمية، تأسست عام ١٩٨٦م، تعمل لنفس الأهداف التي تقدم ذكرها.

كما وتعمل المنظمة النسوية في ١٨٠ دولة، ولها أكثر من عشرات الآلاف من المترشحين من الأكاديميين وصانعي السياسات، والملايين من الطلاب والناشطين ورجال الأعمال والممولين من مختلف الأعمار، وتنفق سنوياً حوالي ٤ ملايين دولار على أنشطتها.

إن هذه الحركات النسوية بمؤسساتها ومنظماتها تعمل صباحاً ومساءً بخطى مدروسة وممنهجة وحثيثة، وبتأييد النسويين والنسويات ومن هم خلف الستار بشكل رسمي ومحلي وإقليمي ودولي كامل، وبالتعاون مع أيادي ممدودة وأموال منثورة وإمكانات تنفيذية هائلة، دون رقابة على صوته وموادها وتحركاتها وأنشطتها وأفعالها، ودون تضيق على مصادر التمويل والدعم لها، ودون الاتفات الى من يقود ويدير ويعمل فيها. ولم يكن هذا التوسع والانتشار الذي منح المرأة حقوقها وسعى لتحقيق أهدافها وأعطى الحركة النسوية صفتها العالمية بفعل المرأة لوحدها، بل كان بمساعدة من تسعى الى هدمه وردمه -الرجل- الذي كان الى جانبها طيلة الوقت.

كان للرجال العرب "النسويين" دور أساسي في قيام النسوية "فيمينزم" والأفكار التي تحملها في المجتمعات العربية والإسلامية، حيث كان المصلح والقاضي المصري النسوي (قاسم أمين) صاحب الكتاب الشهير "تحرير المرأة" والذي حظي بدعم الإمام (محمد عبده) والمفكر (أحمد لطفي السيد) والذي تناول فيه قضايا شائكة -كالحجاب في الإسلام- وغيرها، من أوائل من نصر النسوية، وكان يُنظر له كأب روعي للنسوية العربية. والإمام والفقير المصري النسوي (محمد عبده) والذي دعا الى تحرير المرأة، فكتب يقول: "الحجاب ليس من الإسلام" حسب مفهومه للحجاب.

وكان من أبرز من روج ونادى بالحركة النسوية من النساء "النسويات" حول العالم العربي والإسلامي الصحفية والكاتبة السورية (هند نوفل) والتي تعتبر أول امرأة في العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تنشر مجلة "نسائية كلياً" تدعوا فيها للفيمينزم.

وتلاها الناشطة المصرية (هدى الشعراوي) مؤسسة الإتحاد النسائي المصري، والأديبة الفلسطينية (مي زيادة) والتي دعت المرأة إلى أن تحرر نفسها بنفسها، والعسكرية السورية (نازك العابد) والتي قادة الحركة النسائية، وطالبت بإعطاء المرأة السورية حقوقها السياسية، والناشطة اللبنانية (أنيسة نجار) وهي من أشهر رواد العمل الاجتماعي النسوي في لبنان، والطبيبة والكاتبة المصرية (نوال السعداوي) المدافعة الشرسة والمتطرفة عن المرأة حتى ضد خالقها سبحانه، وعالمة الاجتماع المغربية (فاطمة المرينسي) والتي كرست معظم أعمالها وكتاباتهما في الدفاع عن المرأة، والأستاذة التونسية (منجية السواحي) والتي أشيع عنها أنها اتهمت سيدنا "عمرو بن الخطاب" بأنه عدو للمرأة، والكاتبة والأديبة المصرية (نبوية موسى) الرائدة في مجال المرأة وحقوقها، والصحفية المصرية (سيزا نبراوي) تلميذة الناشطة المصرية "هدى الشعراوي" والتي تفوقت عليها في مسألة النسوية، والداعية المصرية (ملك حفني) والتي رسخت صوتها لإنصاف المرأة وتحريرها .

حيث عُرِفَت الحركة النسوية في العالم العربي وانتشرت من خلالهن، وأصبحن رمزا للنسوية -الفيميزم- ليس على صعيد الوطن العربي فقط، وإنما العالم بأسره. ولاحقاً خُتم المشوار على يد "النسوية الإسلامية"، والتي تطرّفت وتجرّأت في نفث السم والسحر الغربي والعربي داخل مجتمعنا الإسلامي، وتزامن ذلك مع تأسيس مجلة بعنوان "زنان" عام ١٩٩٢م للناشطة النسائية الفارسية (شهلا شركت) وهي أحد رواد حركات حقوق المرأة في إيران، والتي سلطت الضوء فيها على اهتمامات المرأة الإيرانية السياسية والجنسية.

والجدير بالذكر هو أن هذا المصطلح استخدم من قبل العديد من الكاتبات والباحثات الغربيات في أواخر تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية الثانية، فكان ممن استعمله الأستاذة الأمريكية (مارغو بدران) الباحثة في موضوع -النسوية الإسلامية- في تاريخ الشرق الأوسط.

كما وكان من أبرز رائدات -النسوية الإسلامية- الاستاذة الجامعية الباكستانية (أسماء برلاس) و (أمينة ودود) ذات الأصول الإفريقية، والكاتبة المصرية (عائشة تيمور) والتي ألقت كتابها "مرآة التأمل في الأمور" وتحدثت فيه عن النسوية ولكن بطابع إسلامي، وأستاذة الأدب الإنجليزي المقارن بجامعة القاهرة (أميمة أبو بكر) التي تحدثت عن إنصاف المرأة من خلال تفعيل المبادئ الإسلامية للقرآن والسنة الصحيحة، وأستاذة العلوم السياسية (أماني عبد الرحمن صالح) التي دعت الى نقد التراث وغربلته بطريقة تخلو من أي تطرفات وانحيازات وفروقات، كما ودعت الى تأويل النصوص المقدسة "القرآن والسنة" من منظور غير ذكوري وغير معاد للنساء.

تنبيه.. "النسوية الإسلامية تطلق رصاصة نقدية نحو التراث الإسلامي الذكوري، وتدعوا للإشتباك مع المفاهيم القرآنية والسنية الذكورية حتى يتم تقويم المسار بما يتناسب مع أهواء النسوية ورغباتها وأهدافها وحياتها".

تقول الدكتورة (أميمة أبو بكر) في إحدى الجلسات: "ليس بالضرورة أن نرفض الدين والإيمان لنكون نسويات، أو نرفض المنظور النسوي لنكون مؤمنات ملتزمات"، ولكن الحقيقة هي أن النسوية الإسلامية امتداد للنسوية الغربية، والنسوية الإسلامية هي نسوية مزينة ومُكمّجة وملونة من كيان غربي علماني.

لقد تم عمل بحث تشاركي قبل ذلك بين الكاتبة (كاثرين ردفرين) والكاتبة والأكاديمية (كريستين أون) أثناء تشييدهما لكتابهما:

"Reclaiming the F Word: The New Feminist Movement" والذي يتحدث عن النسوية وآرائهن الدينية، وتبين فيه أن المرأة الغربية لا تعتقد بالأديان وأقل إيماناً به، فهن يرون أن الأديان تقيد حرية المرأة وتستغلها وتضطهدها وتكتفها في حدود مجتمع ذكوري بطريركي.

ونجد أن النسوية العربية والإسلامية تسير بحذاء النسوية الغربية من أفكار ومعتقدات، فالكاتبة (تسليمة ناسرين) البنغلاديشية ترى أن الرجل لا يعامل المرأة ككائناتٍ مساويةٍ له بسبب الدين، والكاتبة (نوال السعداوي) المصرية تتطالب بردم معظم النصوص الدينية -القرآن والسنة- لأنها ذكورية وترفع من مقام الرجل على جميع الأصعدة إزاء المرأة المضطهدة والمسكينة والخادمة له.

والدكتورة (أماني صالح) تصرّح بأن الاتجاه الاسلامي الذكوري يضع المرأة بين خيارين،
فإما أن تكون مسلمة حقيقة وتعرض للتأويلات الذكورية للنصوص الدينية -القرآن
والسنة- وتكون تبعاً لسلطة التراث الذكوري، أو أنها تُشكك وتثور وتتمرد على النصوص
والتعاليم الإسلامية وتطالب بمساواتها بالرجل في كل شيء.

وهناك نسويات من المدرسة النسوية الاسلامية من اعتقدن أن هناك تعارض وتناقض
بين الدين وحقوق المرأة وكرامتها، وأخريات طالبن بإعادة تفسير النصوص الدينية
بطريقة فكرية تخلو من هيمنة وبطش الذكر، وهناك شق آخر منهن واللواتي وجدن
حلهن الوحيد في تحييد الدين كلياً من كل شؤون الحياة.

وللعلم أن الدين الإسلامي يرى أن النسوية الإسلامية لا تلتزم بالنصوص والتعاليم
الإسلامية، بل إنها ثارت عليه وقامت بتنحيته، لتكون النتيجة هي خروج المرأة العربية
المسلمة إلى الحياة بصورة منقوصة وشاذة تضاهي فيها أختها التي كانت في العصر
الجاهلي، بل وأسوأ منها.

فنادت بأفكار تخالف فيها شرع الله، كدعوتهن للمساواة في الميراث، ومعارضتهن لتعدد
الزوجات، وإلغاء القوامة وتمكينها من مسكن الزوجية، ومنحها الحرية داخل إطار الزواج
وخارجه، والسماح لهن بإلقاء الخطب في المساجد والإمامة بالمصلين، ورفضهن
للحجاب لأنه يقيد المرأة وفيه اضطهادها، وممارستهن لكل أنواع الشذوذ الجنسي
بدعوى أن هذا الجسد هو ملكها، كما وقد طالبن في عقد زواجهن بالمحاكم المدنية وليس
الشرعية، كي لا يفكر الزوج بمسألة التعدد نهائياً، ولكي يتسنى لهن تحصيل نصف أملاك
الزوج في حالة الطلاق، كما وقمن بالمطالبة بإلغاء حد الردة، وزواجهن بأربعة رجال في آن
واحد رداً على مسألة التعدد، وغيرها من الأفكار الشاذة والضالة..

الكاتبة والمنتجة التلفزيونية الأمريكية (سارة غامبل) ألّفت كتابها "النسوية وما بعد النسوية" وقالت فيه: "النسوية سواء كانت حركة أم نظرية أم فلسفة امتد إلى ما وراء العالم الغربي ليصل إلى مختلف أرجاء العالم، حيث حاول البعض إخراجها بصورة جديدة تتلاءم مع خصوصيات المجتمعات والثقافات المستقبلية لها".

يجدر بالذكر أن كلمة "النسوية - فيمنزم" كانت من بين الكلمات الأكثر بحثاً عنها في قاموس "ميريام ويبستير الرقمي" في عام ٢٠١٧م، ما يدلّ على انتشار الحركة الداعمة لحقوق المرأة واهتمام العالم المتزايد بها.

النسوية ضد نسويتها

النسوية أزلًا ليست على قدم واحدة، وإنما تسير في أقدام عديدة، فهي عبارة عن مدارس واتجاهات متعددة، كل منها له غايته وهدفه الخاص به، كما أن لكل تيار وسيلته التي ينكش بها هذه الأرض للحصول على نبتته.

إحدى هذه المدارس هي "النسوية الليبرالية"، والتي تستند على فكرة محورية مفادها أن كل البشر متساوون في كل شيء، ومن غير المقبول والمعقول التمييز بين البشر بدافع الجنس "الذكر، الأنثى"، حيث أن كل منهما لديه عقل، وهم متساوون تمامًا في البناء العقلي وما يحويه من ملكات.

ولقد دعت هذه المدرسة إلى تحقيق المساواة بين الجنسين في المجال السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي، كما ودعت إلى منح المرأة حريتها المطلقة من حيث القضايا المتعلقة بالأمومة أو بالمؤسسة الزوجية، فمثلاً، في الأمومة للمرأة حقها بأن لا تنجب، أو إذا أرادت الإجهاض، أو في عدم رعاية الأطفال، أو في جلب لهم خادمة -امرأة أخرى- ترعاهم وتراقبهم، وفي المؤسسة الزوجية للمرأة حقها في إقامة العلاقة الحميمة مع زوجها أو توقيفها، أو ممارستها مع صديق آخر لها، وفي أعمال المنزل فإن للمرأة حقها بأن تقوم على توظيفه أو لا، أو أن تطلب امرأة أخرى لذلك.

وهناك مدرسة ثانية وهي "النسوية الماركسية" والتي ركزت على تنحية دور المرأة في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، نتيجة استفحال النظام الرأسمالي العالمي، والذي يقوم على المبدأ الطبقي، حيث تستغل فيه المرأة "الزوجة، الابنة" من قبل أصحاب رؤوس الأموال، فتكون مضطهدة في إطار المؤسسة الزوجية ومتساوية مع العبد والخادم، ولتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة -الذكر والأنثى- على رأيهن، يجب إعدام النظام الرأسمالي وإحلال النظام الشيوعي الماركسي مكانه، حيث لا يمكن تحقيق المساواة بين الجنسين إلا في حضان الماركسية التي تلغي الفوارق والطبقية في الرأسمالية.

وهناك مدرسة ثالثة وهي "النسوية الراديكالية" والتي ترى أن السبب الحقيقي لعدم المساواة بين الجنسين ليست علتها الرجل بحد ذاته، وإنما النظام البطريكي الأبوي الذي حدد الحقوق على أساس الجنس، وهنا أضحت المرأة تابعة للرجل، وأصبح هناك سلطة وهيمنة اجتماعية للرجال على النساء.

وهناك مدرسة رابعة وهي "النسوية ما بعد الحداثة" والتي صبت اهتمامها بقضية النوع الاجتماعي "الجندر" من أجل تحقيق المساواة، فقامت بتقطيع الحكايات الاجتماعية والسياسية، حيث تعتبرها حصيلة ذكورية بحتة، بل وقامت بتفكيك الثنائية اللغوية والرواية الدينية، من حيث أن الرجل طاهر، والمرأة ينوبها شيء من النجاسة فترة الحيض، ومن حيث أن الرجل يغلب على تصرفاته العقلانية، بينما المرأة عاطفية وتغلب على تصرفاتها المشاعر والإنفعالات.

وهناك مدرسة خامسة وهي "النسوية الإسلامية" والتي طالبت بوضع التراث الإسلامي -القرآن والسنة- على طاولة التنقيح والتقشير، لاعتباره تراث ذكوري يخدم الذكر والرجل ويتمشى مع مصالحه فقط، ويرفع من سلطته الذكورية.

وغيرها من المدارس..

النسوية ضد الذكورية

الحقيقة الجلية هي أن منشأ "النسوية - الفيمينزم" نظرياً وفكرياً ومنهجياً هو غربي بحت، هي مفهوم غربي لمآلات النضال التي جاهدت بها الحركة النسوية الغربية، والتي كان فيها للمرأة العربية في العصر الحديث دوراً كفاحياً لاحقاً في سبيل قضيتها، لرفع الحيف والإستبداد الذكوري عنها.

ويمكنني القول إن البحث في مسألة النسوية هي ضرورة الفكر عامة، لإخضاعها للنقد من خلال التنقيب في المكتوبات والمقروئات العاطفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والقانونية وغيرها من الحقول والمجالات، والتي تختبئ تحت تضاعيف نصوصها كوارث لا تتجلى للعموم إلا بفؤوس نقدية تنبش البنية النصية لبيان المستور من وراء ما تقصده الحركة النسوية.

منذ الربع الأخير من القرن العشرين وإلى يومنا هذا، وضعت داعيات ومحاضرات نسويات غربيات أطروحات أيديولوجية نحو تصور جديد لمفهوم "المرأة" في مجالات عديدة، والمتمثلة بـ "الأمومية والجسدية والأنثوية والعاطفية والجنسية"، بهدف الهيمنة الكولونيالية على الرجل، وجعل المرأة مركز الاهتمام ومحور الكون.

ولقد ناشدت الصحفية الأمريكية (لوسي فريمان) حكومات دول العالم حماية النساء والفتيات، والسعي نحو تحصيل حقوقهن، والإعتراف بها كجزء من حقوق الإنسان، والتحرك السريع لتنفيذ وتطبيق هذه الحقوق المتعلقة بالمرأة.

ولقد دعت منظمة العفو الدولية على اثر ذلك الدول إلى القيام بما يلي:

- زيادة مستوى تفاعل ومشاركة النساء في صناعة القرار على جميع الأصعدة.
- حماية النساء والفتيات في حالات النزاع ومنحهن حقوقهن.
- التوقف عن محاولة تبرير العنف ضد المرأة بداعي التقاليد أو الثقافة أو الدين، ووضع حد للممارسات المؤذية والعنيفة بحقها.

- إحصار المجني عليهم للمثول أمام القضاء، وتوفير كل طرق الحماية والوقاية للنساء والفتيات إزاء العنف الماثل على النوع الاجتماعي، وتحدي التنميط السلبي للنوع الاجتماعي.

- اتخاذ قراراتهن بكامل حريتهن بشأن أجسادهن وحياتهن الجنسية وصحتهن، وإلغاء كل المواد والقوانين التي تقيد تلك القرارات، بالإضافة إلى احترام حقوقهن على صعيد هذه الحرية .

- تمكين النساء من القيادة والمشاركة في عملية صناعة القرار .

- مساعدة ومد يد العون للمدافعات عن حقوق الإنسان وحمايتهن.

كما وأن منظمة العفو الدولية أطلقت بياناً في ختام جلستها بعنوان "جسدي...حقوقي" دعت فيه الحكومات إلى التحرك الفوري لتنفيذ تعهداتها بشأن الحقوق الجنسية والإنجابية للنساء والفتيات.

على اثر ذلك تحدثت -لوسي فريمان- قائلة: "أصبح حق جميع النساء والفتيات في اتخاذ قرارات واعية بشأن أجسادهن"، فبرأيها أنهن يتعرضن للهجوم ومحاولة الكثير من الحكومات والأشخاص السيطرة على الجانب الجنسي والإنجابي من حياة المرأة وتجريمه.

وأنتهت حديثها تقول: "يحدد هذا البيان معايير الحد الأدنى التي يتعين على الدول أن تلتزم بمراعاتها بغية ضمان تمتع الجميع -تقصد: المرأة- بالحقوق الجنسية والإنجابية".

ولقد تحدثت الأستاذة الجامعية الأمريكية المتخصصة في قسم دراسات المرأة (دونا هاراواي) والكاتبة النسوية الأمريكية الناشطة في حقوق المرأة (ماري دالي) في كتابهما "الايكولوجيا النسوية" عن هذه المسألة كثيراً، بل ولقد تغالت الشاعرة والكاتبة النسوية (هيلين سيكسوس) في كتابها "ضحكة ميدوسا" كثيراً حينما قالت: "إن المرأة عندما تكتب عن نفسها فإنها تعود إلى الجسد الذي صودر منها"، وهذا شطط وإقعاث واسراف في القول بالنسبة لي، حيث تتحدث عن جسدها -المقدس- وكأنه اغتصب منها بفعل ذكر الرجل!؟

وهنا أسائل: ماذا عن علاقات المرأة المثلية والشاذة "كالسحاق"؟ لماذا لا نتحدث - هيلين سيكسوس- عن مصادرة المرأة لجسد امرأة أخرى مثلها في حالة العلاقات النسوية الشاذة؟! من الذي صادر جسد من؟! فضلاً على استعاضتها بذكر صناعي بدلا من الطبيعي!! وفي حالة حديثها عن الذكر، ألم تمنح جسدها بكل حرية وحب لرجل شاركها جسده هو الآخر، ومنحها إياه وفق قانون ودين يحفظ حقوقهما الفكرية والجسدية؟! إن هذه البلاهة في طرح هكذا عبارة تُعبر عن جهل مطقع في عدم التفريق بين الأنوثة والنسوية، فالأنوثة هي المفهوم البيولوجي للمرأة، أما النسوية هي المفهوم الأيديولوجي للمرأة، والذي تحاول أن تكون فيه إله هذا الكون، والمُقنن والمُشرع لكل شيء يحوم حول المرأة وفاعليتها، بعيداً عن نصفها الآخر المتوحش والشرير الذي جاءت منه، ألا وهو الرجل.

تسعى الحركة النسوية "فيمينزم" إلى تمكين المرأة وتحقيق مطالبها وشرعنة كل ما تبغي الحصول عليه، محاولة التذكي والإلتفاف حول استبعاد الجانب البيولوجي "الجسد والجنس والمساواة"، فتتحدث على أنها الطرف المضطهد والمظلوم والمغلوب على أمره فكرياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وتعليمياً، ثم تقوم بكل وقاحة باضطهاد وإلغاء وإقصاء الرجل من هذه الحقوق.

لقد كان من أبرز محاضرات الأنوثة النسوية (كنيبيلير) التي صبّت الحديث نحو الأنوثة على أنها مسألة اجتماعية تركز على فكرة الأمومة، وبيّنت أن الكاتبة الفرنسية والمفكرة النسوية (سيمون دي بوفوار) قد أخطأت في نظرتها نحو الفصل البيولوجي بين الذكر والأنثى، وهذا الفصل من ناحية الحمض النووي هو الذي أضعف منظور المرأة، بعكس الدعوة النسوية التي تجاوزت الجندرية، فكان المقياس بين الجنسين -الذكر والأنثى- يقتصر في حدود التقييم الفكري والثقافي، وليس في الحدود البيولوجية، وهذا ما ركزت عليه الكاتبة الأمريكية والناشطة النسوية (بيتي فريدان) التي اهتمت بإحالة الهيئة الثقافية للأنوثة.

تباينت تعاريف النسوية على ألسنة ناشطاتها، ولكن الفكرة المحورية تدور حول حقوق المرأة المهضومة من قبل المجتمع الذكوري، ومحاولة استردادها والمحافظة عليها.

تُعرّف الناشطة النسوية (ميليسنت غاريت) الحركة النسوية قائتاً: "هي إعطاء كل امرأة الفرصة لتحقيق أفضل ما تجعلها ملكاتها الطبيعية قادرة على أن تحققه"، وهذا مفهوم واسع، ولكن هناك بعض التعاريف التي تأخذ صورة الهجوم على الرجل متهمة إياه بأنه أساس المشاكل.

كالناشطة النسوية والكاتبة الأمريكية (أليس دوير ميلر) التي عرّفت النسوية على أنها: "امرأة مشغولة بالتفكير بحل مشاكلها الخاصة بحيث يعتقد الرجال بأنها لا شيء".

والناشطة النسوية (لويز توبان) التي عرّفتها على أنها: "انتزاع وعي فردي بداية، ثم جمعي متبوع بثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية محددة".

وهناك من النسويات في عصرنا الحالي من بالغن في أفكارهن، ووصلن إلى مفترق مظلّم لإعادة رسم المشهد من جديد، فرأين أنه لكي يحصلوا على المساواة لابد من هدم النظام كلياً في المدرسة الراديكالية التي تميز الرجل، ونسويات أخريات اعتنقن الاتجاه اللاديني والإلحاد، لأنهن يعتقدن أن أساس المشكلة في الدين، حيث يكتسب الرجل سلطته من الدين، وهو السبب الرئيس في اضطهاد المرأة، ونسويات أخريات ذهبن للدعوة إلى عدم الزواج من الرجال، لكي لا يخضعن للسلطة الرجولية بسبب الجنس والإنجاب.

ولقد ألفت بعض النسويات كتب في ذلك، كالكاتبة الفرنسية والمفكرة النسوية (سيمون دي بوفوار) صاحبة كتاب "الجنس الآخر"، والكاتبة الأسترالية والأستاذة النسوية (جيرمين غرير) صاحبة كتاب "الخصي المؤنث".

وهذا ما عزّز لاحقاً إنتشار السحاق في المجتمعات الغربية، والذي امتدّت أمواجه إلى العالم العربي والإسلامي، وخصوصاً في المغرب العربي والخليج العربي. العالم العربي ليس مفصلاً عن المجرة؛ بل هو جزء أصيل فيها، فطاله أمواج من طوفان النسوية كما طالته أذرع السّاحقية.

تتحدث النسوية عن نفسها -وكانها الجنس الوحيد الذي يعيش على طبق الأرض- لاغيةً الآخر تماماً، فهي المُتحدّث وهي المُتحدّث إليه أيضاً.

إن عين الإنسان في القرن الـ ٢١ مفتوحة لقراءة ما يجري على كوكب الأرض، ولا مزيد من الحفر والإستغوار لرفع الستار عن الحقائق الكامنة التي أصبحت عارية في زماننا.

نحن نعيش في مرحلة تحضر متقدمة تكنولوجياً ورقمياً، كشفت فيها النسوية عن نقابها، من خلال ممارساتها الفكرية والأيديولوجية الدوغمائية التي تحاول فيها السيطرة على منظومتنا الثقافية العربية والإسلامية وإقصاء الرجل منها، تجاوزت فيها أدب المرأة وحياء المرأة، نحو تعليم المرأة وتحرر المرأة، نحو انفراد المرأة بالمجتمع وإعدام الذكر والرجل منه، نحو التعدي على دين الله وشرعه -عز وجل- وإبطال وتوقيف بعض الأحكام فيه، والتي لا تتماشى مع نسوية المرأة، بدعوى أنها تخدم الذكر والرجل فقط.

لقد جارت النسوية على حق الرجل، وزيّفت مفهومه، فجعلته كعبد لها يعمل ليلاً ونهاراً، لتقود بنقوده في نهاية المطاف -جيب مرسيدس- ترقص في غرفته، وتطوف شوارع المدينة به دون أدب ولا حياء تحت صخب الموسيقى والأغاني.

ناهيك عن أفكار نسوية استعلائية ذات نبرة عالية تحاول فيها زعزعة وزحزحة أسس الرجل، في المقابل يتحدث الرجل بصوت تابع مقهور حول حقوقه ومركزيته الأساسية التي نسفت من قبل النسوية، ولا يخفى على عين أحد أن ٩٠% من الوظائف تم منحها للنساء، ما جعل الرجال بلا عمل ولا فائدة ولا دور يقومون به! وفي ظل ملئ الشواغر الوظيفية بالنساء أصبح الرجال عبارة عن -بيبي ستر- يرزحون تحت نعل زوجاتهم المترجلات ويخدمون في المنزل بدلا منهم.

في الوقت الحالي يعيش الرجل تحت جناح مؤسسة زوجية مشوهة، في ظل المئات من المسكوتات المتشحة بالإستهلاك والإستنزاف الوظيفي والمادي والجسدي والفكري من قبل باربي "النسوية"، التي وضعت جزماتها وأظافرها في كل شيء، وجعلت من زوجها جارية ذليل وتابع لها.

حقيقة الرجل شوهتها النسوية بالاحتراب والاحتكار، فجعلت من نفسها حاكماً على وجوده وعالمه، تتسيده كآلهة -يونانية أو فرعونية- إزاء عبد خاضع، وصنم منحوت ومتحجر ومخروس.

النسوية ما بين الجنس والجندر

بعض القواميس ترى في مصطلحي "الجنس والجندر" التشابه والتطابق، وبعضها يشير إلى الاختلاف الكبير بينهما، ففي قاموس "أكسفورد" الإنجليزي مثلاً، يُوضح فيه مفهوم "الجنس" بشكل مختلف تماماً عن مفهوم الجندر، حيث يستخدم مفهوم "الجنس" للدلالة على الفوارق البيولوجية، بينما يعرّف مفهوم "الجندر" على أنه جنس الإنسان في استخدامه الجديد -وخصوصاً في المنظور النسوي- وما تنادي به الحركة النسوية "الفيمينزم"، كما وأنه يشير إلى الاختلافات الثقافية والاجتماعية بعيداً عن الاختلافات البيولوجية بين الجنسين.

أما في قاموس "التراث الأمريكي" الطبعة الخامسة، نقع فيه على أن "للجنس" عدة تعريفات، أحد هذه التعريفات أن الجنس هو أنثى وذكور، ومن خلال الأعضاء التناسلية والوظائف الخاصة بها تُصنّف معظم الكائنات الحية، وتعريف آخر يتحدث عن هوية المرء باعتباره أنثى أو ذكر، أما عن تعريف "الجندر" فيه فهو مشابه لمفهوم الجنس البيولوجي، إلا أنه يضع مفهوماً ثانٍ يتركز على هوية الفرد، فهناك أناس لا يكونون ذكورا كاملين أو إناثاً كاملات.

وعلى صعيد المنظمات، نجد "منظمة الصحة العالمية" تضع مفهوماً "للجنس" على أنه الخصائص البيولوجية والفسولوجية التي تحدد الرجال والنساء، مع الأخذ بالحسبان أن الذكر والأنثى -تصنيفات جنسية، بينما تضع تعريفاً "للجندر" ضمن سياق البيئة والعمل من أنشطة وسلوك ودور يراه المجتمع بما يتلائم للنساء أو للرجال.

أما عن منظمة "غلاذ" وهي منظمة لتحالف المثليين والمثليات، فإنها تميّز بين "الجنس والجندر"، حيث تعتبر "الجنس" مفهوم يؤشر على الخصائص الجسدية والتناسلية الداخلية والأعضاء الجنسية، ويصنف الأشخاص على أنهم ذكور أو إناث عند الولادة، بينما "الجندر" فهو الهوية التي تتجسد الجندرية عبره في إحساس الفرد الداخلي بأنه هل هو رجل أو امرأة.

ومن زاوية المؤسسات، كإدارة الغذاء والدواء "إف. دي. إيه" فقد استعملت في البداية مصطلح "الجندر" بدلاً من "الجنس" للإشارة إلى التباينات الفسيولوجية بين الجنسين، ولكنها غيرت موقفها عام ٢٠١١م، حيث استعملت مصطلح "الجنس" للتصنيف البيولوجي، بينما استعملت مصطلح "الجندر" على حسب كيفية تجاوب المؤسسات الاجتماعية للفرد بناءً على تمثيله الفردي لجندره.

وفي المجال الأكاديمي نجد الكاتب والمؤلف والباحث والأستاذ الجامعي الأمريكي (توماس دبليو لاكويور) والذي أشار إلى ميل العديد من الأطباء منذ عصر النهضة وحتى القرن الثامن عشر للاعتقاد بوجود جنس بيولوجي واحد فقط "نظرية الجنس الواحد، التي تقول أن للنساء والرجال بنية إنجابية واحدة أساساً"، حيث يعتقد البعض باستمرار انتشار هذا الاعتقاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويجزم (توماس دبليو لاكويور) بأن نموذج الجنس الواحد -حتى في ذروة انتشاره- قد لقي دعمًا بين أوساط الأوروبيين الحاصلين على التعليم العالي، لكن لا وجود لأي أدلة تشير إلى شيوع الاعتقاد بهذا النموذج أو اتفاق الأطباء ممن عالجوا عامة السكان عليه.

وهناك بعض التخصصات الأكاديمية التي ترى اختلافًا كبيرًا بين الجنس والجندر.

وفي أمريكا حازت مسألة "الجنس والجندر" على اهتمام كبير خلال الحروب، أي في الوقت الذي اضطرت فيه النساء إلى العمل بينما خاض الرجال الحرب .

إن الأغلبية في الأوساط العلمية والمعرفية والفكرية أو في خارجه من عموم الناس يعتقدون أن -الجنس والجندر- هما مفهومان مترادفان يؤشران على نفس المعنى، ولكن هناك برزخ عظيم بينهما بالنسبة لي، حيث أن الشيطان نفسه يمشي في أحرف الجندر.

وحسب بحثي وقرائتي المتوزعة يمكنني أن أخص الفارق بين "الجنس و الجندر" على أن الجنس مفهوم بيولوجي، بينما الجندر مفهوم اجتماعي، حيث أن "الجنس" نعني به الجهاز التناسلي للإنسان من شكل وخصائص وتشريح ذكري أو أنثوي، فمثلاً، العضو التناسلي للذكر هو "القضيب"، بينما المرأة يسمى "الفرج"، ويختلف شكل وتركيب الجهاز التناسلي الذكري عن الأنثوي، والغدد التناسلية للذكر هي "الخصيتين"، بينما في الأنثى "المبيض"، والخلايا الجنسية الذكرية هي عبارة عن أمشاج صغيرة تسمى "حيوانات منوية"، بينما في الإناث نجدها كبيرة وتسمى "البويضات"، في الذكور تكون متحركة، وفي الإناث ثابتة، ويحمل الذكر كروموسومان من ٤٦ كروموسوم يحددان الجنس وهما "xy"، في حين تحمل الأنثى نسختين من كروموسوم "x".

أما "الجندر" هو المفهوم الذي ينتمي إليه الشخص عبر دوره الاجتماعي في المجتمع، والذي يُقصد به "الدور الجندري"، كما وأن هناك مسألة الوعي الوجداني، والذي يُقصد به تحديد الهوية الداخلية والتي لا تتماشى مع جنس الشخص عند الولادة، فيُطلق على الأشخاص الذين تختلف تجربتهم النفسية الداخلية عن جنسهم المُحدد عند الولادة اسم "العابرين جندريًا"، أو "العابرين جنسيًا"، أو "اللامنتمين للثنائية الجنسية أو الجندرية".

ولقد عُرِّف مفهوم "الجندر" في "الموسوعة البريطانية" على أنه إحساس الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، ولكن ظهرت حالات من البشر لا يوجد تناغم بين صفاتهم العضوية وهويتهم الجندرية، حيث لا يوجد أي حبل يربط بين مشاعرهم وخصائصهم العضوية، لذلك تم اعراب المفهوم وتوضيحه على أن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة؛ بل تساق وتؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية، وتتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية من مرحلة الولادة الى حالة الاستقرار، وهي غير مرتبطة بعمر محدد.

وكانت الاستاذة الجامعة والكاتبة والروائية البريطانية (آن أوكلي) هي التي أدخلت مصطلح "الجندر" إلى علم الاجتماع؛ ووضحت أن كلمة "سكس Sex" أي: الجنس، يُعنى به التقسيم البيولوجي بين الجنسين، بينما النوع "الجندر" يُعنى به التقسيمات الموازية وغير المتكافئة اجتماعيًا إلى الذكورة والأنوثة، ويُبين مفهوم "الجندر" الاختلافات الناتجة بين الرجل والمرأة من خلال المنظور الثقافي والوظيفة لكل منهما والدور الاجتماعي المنوط بهما، وهذه الفروقات هي نتاج لعوامل اجتماعية ودينية وسياسية وثقافية، بمعنى أنها من صنع الإنسان، وهي فروق يمكن تجاوزها في إطار المساواة بين الرجل والمرأة، في حين لا يمكن فعل ذلك في الفروق الفيزيولوجية بين الرجل والمرأة التي تقف حاجزًا استفهاميًا أمام مساواة مطلقة.

الجندر هو مفهوم دينامي؛ حيث تتفاوت الأدوار الاجتماعية والثقافية التي يلعبها الرجال والنساء في إطار المجتمع والثقافة نفسها، فهناك الطبقة، والعمر، والعرق، والمال، وهي عوامل تؤثر على ما يعتبر مناسباً للنساء من أعمال، لذلك، الجندرة "الجندر، النوع الاجتماعي" هو التفرقة بين الذكر والأنثى على أساس الدور الاجتماعي لكل منهما تأثراً بالقيم السائدة، بينما يقتصر مصطلح "جنس، سكس" على الفروقات البيولوجية بين الرجل والمرأة، ويتسم بالجبرية لأبدية وثبات الاختلافات الجسدية بين الرجل والمرأة.

ولكننا نجد "النسوية" ما بين الجنس والجندر، إلا أنها ردمت الجنس مقابل الجندر، حيث تعتقد بعض النسويات بأنه لا يُمكن تحديد جندر الشخص من خلال جنسه أبداً، ولقد جاء في كتاب "جدلية الجنس" نصوص نسوية كثيرة دعمت "الجندر" وعدمت "الجنس".

تاريخياً.. استُخدم مصطلح "الجندر" منذ القدم كمفهوم يراد منه الفروقات الاجتماعية والسلوكية حسب ما جاء في دراسة مخلفات الحضارات الإنسانية والأدلة الاثرية عليهم في علم الآثار "Archaeology".

واشتُقَّ المعنى التاريخي لكلمة "جندر" الإنجليزية من كلمة "جينوس" اللاتينية، والتي تعني "نوع" أو "صنف"، وكان لا يُستخدم المعنى لكلمة "جندر" إلا في سياق القواعد النحوية، وفي أوائل سبعينيات القرن الماضي، وتحديدًا بعد تبني النظرية النسوية لأعمال عالم النفس الأمريكي (جون ماني) وخصوصاً كتابه المدرسي الشهير "رجل وامرأة، فتى وفتاة"، ثم جاءت النسوية وراحت تشيع المعنى الاجتماعي للمراد بمفهوم الجندر.

وعلى الصعيد العربي والإسلامي ذكر مصطلح "الجندر" لأول مرة في -٥١- موضعاً في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان عام ١٩٩٤م، ثم ذكر مرة ثانية -٢٥٤- مرة دون إعراب في مؤتمر بكين للمرأة عام ١٩٩٥م، وتحت ضغط الدول المحافظة تم تشكيل فرق عمل لتعريفه، وخرجت لجنة التعريف بعدم تعريف المصطلح، ثم انتشر استخدامه بعد ذلك في المؤتمرات الدولية.

في شهر ٦ عام ٢٠١٠م عملت "الجمعية العامة للأمم المتحدة" على خلق وكالة جديدة للأمم المتحدة للنساء فقط، تدعى "الأمم المتحدة للنساء"، أو "كيان الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين النساء"، والذي بدأ عمله بنشاطات تتعلق بالجندر، ووضع مفاهيم وأبعاد لمفهوم "الجندر".

وقبل ذلك صدر كتاب "الجنس الآخر" للكاتبة الفرنسية (سيمون دي بوفورا) في عام ١٩٤٩م، والذي يُعدُّ الدستورَ المؤسَّسَ للحركة النسوية في العالم؛ حيث ذهبت فيه دي بوفورا إلى قدح الرجل وتشويه صورته على أنه يمارس على المرأة سطوة عاطفية تعاني إبانها من اضطهاد عميق، وعلى المرأة أن تقلب الصورة التي ينظر بها الرجل لها ولخصائصها الجسدية والنفسية كي تتحرر من قبضته ومن الموروث الثقافي الذي ينحت سلباً أفكارها وحيواتها اللاواعية، وهذا الدور منوط بالمرأة الكاتبة التي تملك ناصية اللغة لتبليغ المشاعر والأحاسيس "للآخر" الذي تمثل المرأة في عُرفه الجنس "الآخر"، فالأنثى

تتحوّل إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلّط شكّل شخصيته انطلاقاً من مفهوم السلطة التي وضعت ملامحها وحدودها السلطة الاقتصادية عبر العصور.

ولقد وضحت دي بوفورا أن المرأة لا تولد امرأة لانعدام قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرء كأنثى في المجتمع، وقالت: "إن المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة".

خلاصة نتائجها الفكري والأدبي كان على التساؤل عن هوية المرأة، والتأكيد أنها هوية مستلبة من صنع الرجل، وتحررها يكون بقدرتها على الخروج من أصفاد الصورة النمطية التي صنعها المجتمع، وهي بهذا مهّدت للتنظير في مفهوم "الجنדר".

النسوية هي من صنعت الجندر

في حقول العلم، وتحديدًا في حقل الدراسات الاجتماعية ظهر مصطلح "الجندر- Gender" لأول مرة في كتاب بعنوان "الجنس والنوع والمجتمع" عام ١٩٧٢م على يد مؤلفة الكتاب الباحثة الانجليزية (آن أوكلي) وهو مصطلح غربي، تم اشتقاقه من أصل لاتيني، والذي يعني لغويًا "Genus" بمعنى: الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، وهذا المصطلح -الجندر Gender- يحتوي بداخله على مضامين خطيرة.

وفي ثمانينيات القرن العشرين ظهر مفهوم Gender "النوع الاجتماعي أو الجنوسة أو الجندر" كمصطلح بادٍ وظاهر عندما استخدم من قبل الحركات النسوية، فظهر في البداية أولاً في أميركا الشمالية ومن ثم أوروبا الغربية عام ١٩٨٨م، وهو يشير إلى الصفات المتعلقة بين الجنسين "الذكر والأنثى" من ناحية الجنس الحيوي "تشرح الإنسان" كذكر أو أنثى، أو ثنائي الجنس"، أو من ناحية البنية الاجتماعية المتعلقة بالجنس "الدور الاجتماعي ودور الجنوسة"، أو من ناحية الهوية الجنسية.

والهوية الجنسية تتمحور في ثلاثة تصنيفات: الأولى هي "cisgender" وهم الذين انسجمت فيهم هويتهم الاجتماعية والبيولوجية، والثانية هي "bigender" وهم "ثنائيو الجنوسة" أو ثنائي الهوية الاجتماعية" وهم الذين تتقلب هويتهم بين المرأة والرجل، و الثالثة هي "non-binary" وهم "عديمي الجنوسة" أو "عديمين الهوية الاجتماعية" وهم الذين تكون هويتهم خارج نطاق المرأة والرجل، وعند مخاطبتهم يستخدم لفظ الجماعة. وتعتقد النسوية أن "المرأة" هي النوع الاجتماعي الذي يحتاج إلى الرعاية والتركيز والتعديل والانصاف والاهتمام به.

ولقد تحدثت آنفاً أن أول ذكر لمصطلح -الجندر- في العالم العربي والإسلامي كان عام ١٩٩٤م، في مؤتمر السكان في مصر بالقاهرة، وتكرر ذكر مصطلح -الجندر- فيه حوالي ٥١ مرة، ثم في العالم الغربي عام ١٩٩٥م في بكين، في المؤتمر الرابع العالمي للسكان، وتكرر ذكر مصطلح -الجندر- فيه حوالي ٢٥٤ مرة، وتم نشر وثيقة ميثاق بكين -معاهدة سيداو- في هذا المؤتمر.

قالت المادة الخامسة -والتي جاء فيها مصطلح "الجندر"- في اتفاقية "سيداو" بما يخص دور كل من "الرجل والمرأة" في إدراج الجنسين في رسم وإعداد عمليات التخطيط المتعلقة بصياغة التشريعات والبرامج في كافة السياقات والسياسات والاتجاهات وعلى كل المستويات، وذلك يكون بتبديل الطرائق الثقافية والاجتماعية لكل منهما، لغاية ردم التحيزات والفوارق، ودفن العادات والأعراف المجتمعية، فقامت بالإستعاضة بمفهوم "الجندر" عوضاً عن "الجنس"، لأن الجندر هو مفهوم تقفز به النسوية عن كل الحواجز الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والجنسية والاقتصادية والفكرية واللغوية- لتحقيق العدل والمساواة بين الرجل والمرأة، وحتى في مسألة التباينات في الوظائف الجسدية من الناحية الجنسية فيمكن تغييرها أو تحويلها أو استبدالها وفقاً للعوامل البيئية والاجتماعية والثقافية.

ولكن النسوية تحت جناح الجندر ألغت الدور الرئيسي للمرأة والتي خلقها الله تعالى لأجله، ألا وهو "الأمومة"، حيث عملت الجندرية على خلق إشكال يشغل المساحة الكبرى والمحورية لدى المرأة من ناحية الوظائف الفيزيولوجية -الحمل والإنجاب والرضاعة- فأصبحت مسألة الحمل والإنجاب والرضاعة عائقاً في وجه المرأة، ولها الأحقية والحرية في أن تحمل أو في إعدام وإجهاض جنينه.

ولقد صرّحت عالمة الاجتماع "سيمون" في هذه الباب تقول: "إنَّ الأمومة خُرافة، ولا يوجد هناك غريزة للأمومة، وإنما ثقافة المجتمع هي التي تصنع هذه الغريزة؛ ولهذا نجد أنَّ الأمومة تعتبر وظيفة اجتماعية"، وهذا ما عمل على إنجاب مصطلح جديد لغزو المرأة، ألا وهو "الصحة الإنجابية" عوضاً عن "الأمومة".

كما أن النسوية تحت جناح الجندر عملت على تغيير شكل الأسرة، فالمعروف والطبيعي أن الأسرة تتشكل من الرجل والمرأة معاً، إلا أنها أصبحت تتشكل من جنس واحد فقط "امرأة مع امرأة أخرى"، ففي عام ٢٠٠٤م أعدت لجنة المرأة التابعة للأمم المتحدة تقريراً يقر بشكل رسمي بالشذوذ وحماية حقوق الشواذ، والسعي لقبولهم من قبل المجتمع، كما ودعم التقرير الممارسة الجنسية بمختلف أشكالها الطبيعية والشاذة.

واعتماداً على هذا التقرير يمكن أن تتشكل الاسرة من علاقة شاذة "امرأة مع امرأة"، أو امرأة تعيش مع رجل بدون زواج، ويكون الأطفال ضائعين تائهين تحت أقدام أم تمارس الجنس مع من هب ودب، وتقفز من حضن رجل الى حجر امرأة، ومن بيت الى آخر، مفتقرين ومفتقدين لمعنى الأبوة ومعرفة من هو الأب والوالد؟!!

كما أن النسوية تحت جناح الجندر أجمت الصراع بين الجنسين، وكانت السبب في إشعال فتيل الحرب بين قطبين متنافرين لا يمكنهما الالتقاء أبداً، فكان الجندر هو الأرض التي يصاغ عليها أعظم النزاعات وأعظم الثورات بين الرجل والمرأة، فكل منهما في صراع مع الآخر لإثبات نفسه وأنه محور الحديث والكون، ولقد تحدث المؤتمر الدولي لتحديات الدراسات النسوية في القرن ٢١ الذي نظمه مركز البحوث التطبيقية والدراسات النسوية في جامعة صنعاء في اليمن عن هذه الجزئية.

كما أن النسوية تحت جناح الجندر عملت على التلاعب في اللغة وتحريفها، فقامت النسوية بصك مصطلح "الجندر" عوضاً عن "الذكر والأنثى - الرجل والمرأة" لرسم خارطة جديدة للعلاقة بينهما، كما أنها بثت مفهوم "فمينيزم" لرسم الحدود والخطوط الحمراء بينهما، بأنها لا تقتصر على الجغرافيا فقط، وإنما على تغيير المعاني وتحوير الثقافات وتزوير الأفكار.

كما أن النسوية تحت جناح الجندر تدعوا المرأة لممارسة البغاء والسفاح والشذوذ والتعري والتبرج والإباحية الجنسية بجل سبلها وطرقها، من خلال ملكية المرأة لجسدها، ولقد دعت الحركات النسوية في الستينات للإباحة الجنسية بكافة أشكالها من خلال "إمتلاك المرأة لجسدها" والتي نجم عنها الإنحلال الجنسي وتفكيك الأسر وتششت الأطفال.

إن الأسرة هي الحصن الذي يحتمي به كل انسان خلقه الله تعالى، والنسوية تعمل على تفكيك نسيج المجتمع الغربي والإسلامي من خلال هدم الأسرة عبر هذا المفهوم "الجندر".

بالنسبة لي.. وحسب تقشيري لمسألة الجندر، فإن هذا المفهوم -الجندر- بكل بساطة وباختصار شديد يعني: "إذا خلقك الله ذكراً، ليس بالضرورة أن تكون ذكراً بالواقع، أو إذا خلقك الله أنثى، فليس بالضرورة أن تكوني أنثى بالواقع"، ولقد وضحت وقالت النسوية -ديمون- بكل صراحة أن المرأة امرأة لا لأنها ولدت أنثى، ولكن لأن المجتمع عاملها على أنها أنثى فأصبحت امرأة".

وأضيف في هذه الجزئية وأقول: "ما تحدث به النسوية -ديمون- حدث مع -ايغمار الدينيماركي- الذي خلقه الله -سبحانه- ذكراً بالواقع، ولكنه بعد مدة من الزمن كان يشعر من الداخل انه انثى، بسبب زوجته التي كانت تطلب منه ارتداء ملابس الفتيات، ليستفحل الشعور الأنثوي بداخله مع مرور الوقت ويسيطر على كلماته وحركاته.

وأصبح المجتمع يعامله على أنه أنثى، وكان الذكور يقتربون منه لطلب علاقة حميمة، فقرر أن يصبح أنثى.

قام بعملية تحول جنسي لكي يتحول من رجل الى امرأة.. وهذا ما يحدث مع عموم المتحولين جنسيًا باختصار، ولقد وصف كتاب "كما جعلته الطبيعة" الفتى الذي رُبِّي كفتاة حالة -ديفيد رايمر- الفتى الذي عاش باعتباره فتاةً بعد ختان فاشل -بحسب ما جاء في دراسات جون ماني- لم يشعر رايمر بالراحة في حياته بصفته فتاةً، لذا غيّر هويته الجندرية إلى ذكر لاحقًا بعد اكتشافه لحقيقة خضوعه لعملية جراحية، وفي نهاية المطاف أقدم رايمر على الانتحار".

إنني أقول: "إن النسوية وما تدعوا اليه من جندرة كل شيء هو سبب كل الكوارث الإنسانية التي أفقدت الإنسان جوهره وهويته الحقيقية".

إفرازات ومُخرجات النسوية

هدم الأمومة

الجندر.. والذي صنّعه النسوية، غرضه إزالة الفروق الوظيفية بين الرجل والمرأة، ونحو تحقيق ذلك فإنَّ الأمومة تأخذ حيزاً كبيراً عند الجندريين، فنجد عالمة الاجتماع (أوكلي) تقول: "إنَّ الأمومة خُرافة، ولا يوجد هناك غريزة للأمومة، وإنما ثقافة المجتمع هي التي تصنع هذه الغريزة؛ ولهذا نجد أنَّ الأمومة تعتبر وظيفة اجتماعية".

وهنا يتجلى مفهوم "الصحة الإنجابية" وهو ليس كالمفهوم العالمي له حسب الرؤيا النسوية الجندرية، والذي يُعنى بجبر وترقيع الالتباسات الناتجة من وظيفة المرأة كأم على مستوى الإنجاب، حيث تنتصب كجدار متين إزاء ممارستها لدورها الجندري المساوي لدور الرجل، والتي تتعلق بالوظائف الفسيولوجية للمرأة، وإشكالاتها المقترنة بـ "الحملُ والرَّضاعة والإجهاض".

كثرة الطلاق

حسب تقرير احدى الدول العربية والتي رأت أنه من أسباب الطلاق المباشرة وانحلال الاسر وضياع الأبناء هي "الأفكار النسوية ورغبة المرأة في الحرية والاستقلالية". تشير الإحصائيات أنه وبسبب النسوية أصبحت المرأة هي المحرك الأول لإنهاء العلاقة والطلاق .

وترى عالمة النفس وخبيرة العنف المنزلي (هايدي كار) في مركز تطوير التعليم ومقره الولايات المتحدة، أنه ليس من قبيل المصادفة أن ترتفع معدلات الطلاق مع انتشار مسألة تحرير المرأة، وتضيف: "أيضاً، نظراً لأن أدوار الجنسين تصبح أكثر تعقيداً عندما تبدأ المرأة في الحصول على الاستقلال المالي، ينشأ المزيد من الخلافات الزوجية بشكل طبيعي".

بعبارة أخرى، فإن دخول المرأة إلى مساحة العمل مكّنها من ترك الزيجات بشكل أكثر سهولة، فلم تعد ملزمة مالياً بالبقاء في شراكات أو علاقات مسيئة حيث لا تتم تلبية احتياجاتها، وبالتالي بدأت النساء في الاتجاه نحو إجراءات الطلاق بشكل أكبر.

ويساعد هذا أيضاً في توضيح سبب احتمال قيام النساء الحاصلات على تعليم جامعي بإنهاء الزواج، حث تقول كار: "عبر الثقافات والمناطق الجغرافية، فإن النساء القادرات اقتصادياً على الاعتناء بأنفسهن - الأمر الذي يرتبط عادةً بمستويات التعليم العالي - من المرجح أن يشرعن في الطلاق أكثر من النساء غير القادرات على إعالة أنفسهن وأطفالهن اقتصادياً".

فيما ترى الكثير من النساء أنهن لا يستفدن عادةً من الزواج بالمستوى نفسه الذي يستفيد منه الرجل، وبدلاً من ذلك، فإنهن يتحملن العبء الأكبر من العمل المنزلي والحمل والرضاعة وتربية الأطفال، والذي يمكن أن يستهلك المرأة العاملة بشكل تام، كما تقول (فورت مارتينيز).

كما أنها تبعث بفكرة نجسة مفادها أن المؤسسة الزوجة ذكورية، تكون فيها المرأة ذليلة وخادمة وعبدة وسجينة الرجل، الرجل الذي يراها من بين ساقها فقط، ويقوم بتقييد حريتها وكبت مشاعرها ولجم أفكارها، حيث صرحت إحدى النسويات المسلمات تقول: "الزواج أفضل رابطة في الحياة، خصوصاً في مجتمعنا العربي الإسلامي، ونهايتها غالباً مأساوية للمرأة، ولا أتصور أن هناك امرأة واعية تُقدم على الزواج في ظل دين ومجتمع لا يكفل لها حقوقها الأساسية، ويجعلها تنتقل كالعبيد بين الرجال بدءاً من أبيها ثم أخيها ثم زوجها انتهاءً إلى القبر"، ونسوية أخرى تقول: "الزواج مقبرة، والتي ستُدفن فيه طيلة الحياة هي المرأة"، ونسوية ثالثة تقول: "طبعاً أرفض الزواج، لأن الزواج قائم على قدسية الرجل، بإعتباره رب الأسرة لوحده من دون الزوجة، والذي تكون فيه الزوجة أداة للإنجاب ولخدمة الزوج فقط".

تشويه مفهوم النكاح

من أقذر أساليب النسويات عندما يقمن باستعراض بعض آيات القرآن الكريم وتأويلها بشكل غير صحيح البتة لتشويه صورة الرجل، على أساس أنه يستخدم المرأة آلة جنسية للنكاح والتفريح، ومن أبشع طرقهن أيضاً حينما يسردن بعض القصص في الآثر والأحاديث المتناقضة في الصحيحين التي تصور الرجل على أنه حيوان همجي يستعبد المرأة ويبيع ويشترى فيها، والإسلام براء من كل ذلك.

وسأكون صريحاً.. النسوية تناقض نفسها بنفسها، فهي تلعن الرجل داخل المؤسسة الزوجية، ولكنها ترتمي في أحضان آخر غريب تحت ظل تلك الشجرة، أو خلف تلك البناية، وغيرها من الأماكن!!

تدمير الفتيات

النسوية تعمل على صياغة الطفلة بصورة منحرفة إجتماعياً وعاطفياً وفكرياً وجنسياً وعلى جميع الأصعدة، وتصنع منها فتاة متمردة على أنوثتها وأدبها وحيائها وأسرتها وقيمها ودينها وربها، من خلال حقن الرجل بابر لتشويه صورته، ودفن العادات والتقاليد والأخلاق والقيم، وطعن السنة والقرآن والأديان، ولعن الخالق والرب والإله. تقوم النسوية بتسليح الطفلة، وتفخيخها، ورميها وسط مائدة الوجود، لتنفجر في وجه كل شيء..

تشبيء المرأة

التشبيء هو معاملة الإنسان كشيء، أو رؤيته كشيء من الأساس، والتشبيء هو مفهوم مركزي في عين النسوية والحركات النسوية.

المفكر والفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت) كان يرى ان التشبيء هو هدر الإنسانية، بمعنى: "تحول الإنسان إلى شيء"، حيث يتم تحجيم الإنسان والتقليل منه إلى أن يصبح شيء.

والمفكرة الأمريكية (مارثا نوسباوم) وضعت سبع نقاط تبين فيها تشبيء الإنسان، الأولى هي استخدام الشخص كأداة وليس كإنسان خلقه الله وكرمه، والثانية هي تحريك الشخص ومعاملته على أنه غير مستقل ذاتياً ولا يستطيع اتخاذ القرار، والثالثة هي أنه ضعيف ولا يستطيع لوحده انجاز المهام، والرابعة هي أنه معرض للتنمر والاستبداد ويعامل على هذا الأساس، والخامسة هي أنه يفتقر للأمن والأمان وعرضة للإنتهاك في أي وقت، والسادسة هي معاملة الشخص على أنه شيء يمكن بيعه وشراؤه، والسابعة والأخيرة هي عدم الالتفات إلى مشاعره وأحاسيسه.

في التشيء تتغذى النسوية على جسد المرأة وفكرها حتى تنهار القيمة المركزية للمرأة، وبانهيارها تنهار الإنسانية، ثم ينهار المجتمع بأكمله، والقضية المركزية الأولى التي تجاهد فيها المرأة في سبيلها بهذا العصر المشوه والمعوق هي أن تكون "أم"، وهذا هو موقعها الوجودي الذي رسمه الله تعالى لها.

في ليل النسوية فإنها تسلبها هذا الجوهر، وتعيد تصنيعها بما يتلاءم مع أغراضها وأهوائها ولكنها عليها أن لا تغفل أنها -الأم- قبل أي شيء آخر.

إن النسوية تدعوا الى المناصفة، والمناصفة تشيء المرأة، والمناصفة التي تشيء المرأة ليست مناصفة، بل هي صناعة حدائية تنميطية للمرأة، حيث تدخل في عراك طويل الأمد مع الرجل، بينما النضال الحقيقي هو شراكتها التربوية والاجتماعية والعاطفية والسياسية والاقتصادية الى جانب الرجل، وأخص بالذكر أقدس مؤسسة، ألا وهي المؤسسة الزوجية.

إن المناصفة لا تعني أبداً فرض هيمنة وسلطة المرأة على المجتمع -الذي لم يعد مجتمع ذكوري، بل أصبح مجتمع أنثوي بامتياز في زمن الحدائث السائلة- وإنما انخراط المرأة بالمجتمع إلى جانب الرجل.

المرأة ليست في مراثون تنافسي ضد الرجل لأنها تعتقد أنها بلا هوية كما أفهمتها الحركات النسوية -الفيمينيست- ولا يجب اختزالها ككائن اقتصادي أو سياسي على يد الليبرالية التي تحاول جعل المرأة أداة سياسية، أو ككائن حيواني يتم استهلاك جسده فيزيائياً في أفلام البورنو، أو في ثنايا المشاهد الإباحية في السينما على يد المخرجين والمنتجين والمصورين وكأنها شيء مادي أو أداة إستهلاكية أو سلعة للبيع، أو ككائن مفقوء العقل يتم استنزافه فكرياً على يد الأدباء والكتاب والروائيين والقصصيين، وكأنها آلة ثقافية وانجابية بالمجتمع من أجل أن تصبح معلومة الهوية.

ما يبثه العقل الغربي من خلال الحركات النسوية، ما هو إلا نسق مادي يساوي بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والمادة، ومن خلال ارتفاع وازدياد صيحات الحدائث الإلحادية والعلمية "العلمنة" والترشيد الإجرائي حسب مفهوم عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبر) والذي انشقت فيه العلوم والتكنولوجيا عن القيم، جعله عبارته عن آلة ميكانيكية تتخبط في الأرض دون هدف ولا معنى، هذه الحركات والصيحات النسوية التي بترت الانسان في مساعيه السياسية والاقتصادية والتربوية والدينية والثقافية والأخلاقية، وحيدته عن جوهره وحقيقته ومركزيته المتعالية عن الطبيعة وعن كل ما هو في الطبيعة،

وعن المادة وعن كل ما هو مادي بحت، ولكنه سيد هذه الأرض، فهو الذي استطاع تفكيك المادة والتحدث مع الطبيعة.

نحن نعيش بين حركات تعمل على تحويل الإنسان إلى أشياء مادية، فها هي النسوية تسعى بكل سفاهة ضد مصالحها وحقوقها التي تنادي بها، فتنادي بتشيؤها سياسيًا؛ حيث يُرَوَّج من خلال دموعها وبكائياتها لفكرة الانفتاح ومنحها الحقوق، وكأنها كرت رابح - كالكس أو الجوكر - في لعبة الشدة يُرمى به من أجل إنهاء الطرف الآخر - الرجل - والفوز عليه وتحقيق المطلوب.

ولنكن واضحين، فإنه في زماننا يتم اشراك المرأة في مؤسسات الدولة والمؤتمرات والندوات الغربية والعربية والإسلامية ليس لكفاءتها، وإنما لتطرية الجو، والتسلية، وتبادل الضحكات والغمزات واللماسات، حتى في مراكز وصلات الجيم والرياضة يتم توظيف المرأة ليس لبنيتها العضلية، وإنما لقوامها وتضاريسها من أجل جلب المزيد من الشبان الذين التوت أعناقهم خلف إستها التي تنط يمنة ويسرة، وكل هذا من أجل العائد المادي.

حتى على صعيد -تنكة البيبسي والكوكاكولا- عندما يريدون الترويج لها تؤشر الأصابع نحو المرأة، وكأنها كائن اقتصادي يسهل عملية البيع والشراء والشرب والبلع، وكل هذا في سبيل جني المزيد من المال والأرباح.

النسويات يقمن بتسليع المرأة، ويُقدمنها لا لعملها ولا لكفاءتها ولا لفكرها وإنما لعرضها كما لوحة الإعلانات، كراقصة متعرية تتسلق العمود، أو كعارضة أزياء تتمايل أمام الكاميرات والشاشات، أو كمانيكاف في المؤسسات والهيئات والوزارات والندوات والمؤتمرات، وللحق أقول يا عزيزة أن خلف الكواليس يأتي وصف جسد المرأة أولاً، وإستها البارزة من خلف البنطال، والجزء العلوي من ثديها الذي يقفز من فوق التيشيرت، وكلما تعرّت المرأة أكثر، وتنازلت عن شرفها أكثر، كلما تم ترفيعها وترقيتها في المناصب والمواقع أكثر، حتى تجلس أخيراً على رأس المؤسسة.. هذه الحقيقة من خلف النسوية لتسليع المرأة.

ميكانيكية الجسد

إن تسلسل الحلقات التي تعرض تاريخ الحركات النسوية منذ نشأتها إلى زماننا -الآن- يرى الهدف الجلي الذي تسعى إليه، بداية من مرحلة المخاض إلى الولادة، مروراً بفترة الذوبان إلى اتخاذ الصورة والهيئة الحالية التي مرت بها النسوية.

ولقد خاضت النسوية مباراتها ضد المنظومة الثقافية الذكورية، ونجحت بدعم العالم الغربي ومؤسساته في تقليص الفارق، ثم الفوز الكاسح في المباريات اللاحقة وتحطيم سمواته البطريكية، وبلغت ما بلغته في المجالس السياسية والماركسية والاشتراكية والراديكالية والليبرالية وغيرها بفضل جسدها الذي كان اللاعب الأساسي في المباراة، وليس بفضل نسويتها -والأدلة كثيرة في هذا الباب- حيث لا يمكن النظر إلى النسوية بمعزل عن جسدها السياسي والثقافي، فلم يكن جسدها الفيزيائي خارج المعادلة، فكما قالت الكاتبة والمفكرة الفرنسية والناشطة السياسية النسوية (سيمون دي بوفوار) في هذه النقطة: "المرأة كما الرجل هي جسمها، بيد أن جسمها هو شيء آخر غيرها"، لقد كان جسد المرأة في النسوية مرتبط ارتباطاً وثيقاً في البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية.

لا يخلو التاريخ الإنساني في مراحل من تشييء الجسد واعتباره لافتة للتعبير، فلقد كان الجسد الفيزيائي أداة للتعبير السياسي على مر التاريخ، حيث أحرق -البوعزيزي- جسمه رداً على ظلم الحكومة، ولقد حصل هذا في أميركا أيضاً عندما حرق أحد الجنود الأمريكيين نفسه اعتراضاً على الحرب الهمجية التي قادتها آلة الحرب الإسرائيلية على أهلنا في قطاع غزة في فلسطين.

ولم تتوقف النظرة إلى جسد الرجل فقط، وإنما إلى جسد المرأة، ولكنها تمردت به إلى حد الغير معقول، حيث خرجت مجموعة كبيرة من النساء البالغات بصدورهن العارية تماماً -دون أي حاملات أو أي لباس داخلي- يطالبن في حقهن في ممارسة الشذوذ رافعات لافتات كتب عليها: "جسدي لي"، كما وفعلت ذلك بعض الفتيات في الخليج العربي والمغرب العربي وفي الشام.

كما وخرجت إحدى الفتيات في العشرينيات أيضاً بمشهد لا يصدق، حيث راحت تسير في الشارع وهي عارية تماماً، من غير أي لباس -كما ولدتها أمها- اعتراضاً على بعض القوانين التي سنت في إحدى الدول الغربية.

ولا أتعجب شيوع الكراهية والخوف من النساء ومن سلوكهن الغير طبيعي منذ عهد اليونانيين، حيث صُكَّ المصطلح اليوناني "الميسوجينية" المتفرع من أصله اللاتيني "Gynophobia" والذي يعني "الخوف من النساء".

ولنكن واضحين.. إن إستغلال المرأة وجسدها القابع خلف الرداء ليس سببه الرجل، وإنما المرأة نفسها، فهي من باعت نفسها وجسدها بهدف غاية الحصول على المال أو المنصب.

التعري والانحراف

الجديد بالذكر أن الجمهور يعتقد أن فكرة "النسوية" تتمحور حول التعري، حيث طفت أصوات من النسويات تدعوا الى خلع الحجاب والجلباب، والخروج بالبكيني، وحتى من غير لباس -عارية تماماً- بدعوى أن -جسدي ملكي، أفعل فيه ما يحلوا لي- ولا سلطة لأب أو لأخ أو لزوج عليه، والبعض الآخر يعتقد أنها تتمحور حول الإنحراف الجنسي - السحاق- و -السفاح- و -الجنس الثنائي- وغيرها.

ولقد قالت الكاتبة المغربية وعالمة الاجتماع النسوية (فاطمة المرنيسي) عن تحرر المرأة ومسألة الحجاب: "الحجاب أداة لاستعباد المرأة وتقزيم لدورها الاجتماعي والسياسي، وهو أكبر عائق أمام مشاركة النساء في الحياة الفاعلة".

كما وصرح بعض النسويات أن أجسادهن ملكهن، ومن حقهن أن يقطعن الرجال من أن يطؤوهن، وأن يفعلوا ما يحلوا لهن من ممارسات جنسية مع أي شيء باستثناء الذكر، مما أفقد النسوية مصداقيتها بأنها ولدت للدفاع عن حقوق المرأة والمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع الرجل، عدا أن النسوية متفتتة على الصعيد العام، حيث أن هناك "النسوية الليبرالية" و "النسوية الراديكالية" و "النسوية الإسلامية" وكل منهن يصرخن بأيدولوجية مختلفة عن الأخرى، فهناك خلاف في التوجهات بين النسوية الإسلامية و النسوية الليبرالية.

ولكن لا بد للحق أن ينجلي.. فكما يعلم الجميع أن المغرب العربي هو الشعلة التي تنطلق منها الحركات النسوية التي تدعوا إلى التحرر من القبضة الذكورية، ولكن المرأة التونسية أدهشت النسوية التونسية، حيث أطلقت حملات تدعوا إلى مراقبة المرأة بعنوان "كن رجلاً" تدعوا الرجل إلى مراقبة لباس ابنته وزوجته قبل الخروج من البيت، بأن يكون

ساتراً وفضفاضاً وليس قصيراً وشفافاً تبرز من خلاله عورة ومفاتن المرأة، وأن يمنع الرجال نسائهن لباس المايوه -البكيني- على ضفاف وشواطئ البحار والأنهار.

المحدث والفقيه (أحمد شاكر) كتب مرة يقول: "نريد أن نحفظ أعراض المسلمين، وأن نحارب ما أحدثته النسوية وأنصار النسوية من منكرات الإباحية والمجون والفجور والدعارة، هؤلاء النسوية اللاتي ليسن لهن رجال، إلا رجالاً يشبهن الرجال، هذه الحركة النسائية الماجنة، التي يتزعمها المجددون وأشباه المجددين، والمخنثون من الرجال، والمترجلات من النساء، التي يهدمون بها كل خلق كريم، ويتسابق أولئك وهؤلاء إلى الشهوات، وإلى الشهوات فقط".

وأحب أن أقول لهن: "إذا كان تعري المرأة، ونزعها للباس، وتقصيره وتضييقه، هو الحضارة كما تراه باربي، فهنيئاً للحيوانات كل الحضارة، فلا أحد سبقها في إبراز العورة!!".

البورنو

الدخل المادي لصناعة أفلام الدعارة حوالي ٥٧ مليار دولار، مع أن الجميع يؤكد أنه لا يشاهد الأفلام الإباحية، إذن من أين جاءت ٥٧ مليار لتجار البورنو؟! وهذه إحصائيات ٢٠٠٩م، واليوم نحن في ٢٠٢٥م، وهذا يعني أن المبلغ تضاعف على الأقل ١٠ أضعاف! في كل ثانية ودقيقة وساعة ويوم يمر على هذا العالم يتم مشاهدة البورنو، وانت في بيتك، وانت في مكتبك، وانت في غرفتك، في كل حالاتك وأحوالك يمكنك مشاهدة تلك الحسناء وتلك الشِّقراء وتلك السِّمراء وهي تتجرد من ملابسها وتمارس الزنا من خلال كابل الإنترنت!

لوجئنا لأصل كلمة "pornography" سنجد معناها: "الإباحية، الفاحشة، الخلاعة". وكما قال العلماء أن أصلاً كلمة -بورنو- في اليونانية تعني: "القدارة"، والتي تعرف بالعموم "الأفلام القذرة، المواد القذرة، الصور القذرة، المجلات القذرة، الأدوات القذرة".

في القديم الغابر كان من الصعب جدًا الحصول على هذه الخلاعات، كنت تدور وتحوم حتى تتورم قدماك من أجل أن تنال صورة إباحية، ولا تأخذها مجاناً، بل تدفع ثمنها مبلغاً كبيراً.

في قديم الزمان كنت تلف السند والهند لكي تحصل على شريط إباحي "تستأجر الكاسيت" أو تشتريه بمبلغ كبير من النقود، كانت هذه القذارات غير متاحة، ولكن في زماننا أصبحت متوفرة وبشكل كبير جدًا، بل وفائض عن الحاجة، وكل ما عليك هو أن تضغط على زر الماوس، لتنقش تلك الفاتنة من بطن الكابل الكهربائي، وتتجلى أمامك بجسدها العاري وهي تستلقي فوق أحدهم على شاشة الحاسوب أو الهاتف!

ولا شك أن الباغية التي تمارس الزنا، فإنها تتمسك بحصنها الأول ألا وهو النسوية، ولقد صرحت بعض النسويات بذلك كما أسلفت سابقاً، وأنا أقول لهن أن الفتاة الإباحية التي تتعري وتزني أمام الكاميرا أو أمام الناس، فإنها تتجدر بالكامل من كرامتها.

أين الحياء يا أمة الله؟ إن الجمل عندما يريد أن يأتي أنثاه، فإنه يأتيها بالسر والخفاء لأنه يستحي، هل يعرف الجمل معنى الحياء؟ نعم، بينما تشرع المرأة إلى التعري وتبادل القبل وممارسة الجنس علناً دون حياء، يمكنك أن ترى روحها حرفياً تنتزع من جسدها في تلك اللحظة.

وأثناء هذه اللحظة تعلم يقيناً أن الله موجود، وأنه خلق لها روحاً وجسداً لتكرمه وتغطيه وتحافظ عليه.

الجنس هو غاية لشيء، وذريعة لهدف معين، وهو بناء أسرة، وليس هو وسيلة بذاته! أما إذا كان الإنسان يعتقد أن الجنس وسيلة بحد ذاته، فأعتقد أن الحمار سيكون أفضل وأقوى منه جنسياً!

فمهما برعت جنسياً فلن تتفوق على الحيوانات، لأن هناك أصناف من الحيوانات تأتي أهلها طيلة اليوم، كل ١٥ دقيقة يأتي أهله دون تعب! ولا يستطيع أي إنسان في العالم يفعل هذا!

نحن نتعاطى مع الجنس وفق ما يراه ربنا سبحانه، لسبب رئيسي أهم بكثير من الجنس بحد ذاته، وهو الحفاظ على النوع الإنساني من الإنقراض، يكفي أن الإنسان الأخلاقي والإنسان المفكر والإنسان المؤمن على حافة الإنقراض، اذن فلنحافظ عليه نوعياً على الأقل!

الشذوذ الجنسي

في التقارير النسوية جاءت بنود خاصة تعترف بشكل رسمي بـ"الشذوذ وحماية حقوق الشواذ"، بل والسعي لقبولهم من قبل المجتمع، وتشجيع الشباب على ممارسة الشذوذ والجهر به، واعتبار ذلك تعبيرًا عن -المشاعر- ودعمًا لتعليم الممارسة الجنسية بمختلف أشكالها الطبيعية والشاذة.

ولو أمعنا النظر في كتاب "الأسرة وتحديات المستقبل" من مطبوعات الأمم المتحدة "صفحة: ٣٦ - ٤٢"، يجد الباحث الاجتماعي فيه أنَّ الأسرة صُنِّفت إلى ١٢ شكلًا ونمطًا، ومنها أسر الجنس الواحد؛ أي: أسر الشواذ، ومنها "السحاق".

الناشطة النسوية الأمريكية (تي جريس أتكينسون) قالت: "لو كانت النسوية النظرية، فالسحاق هو التطبيق"، أما عن الممثلة الأمريكية (كاثرين هيبورن) فقد قالت: "لم أعش كإمرأة، بل عشت كرجل، أقدمت على فعل ما أريد، وجنيت ما يكفي من المال لأدعم نفسي، ولا أخاف من أن أكون وحيدة".

وقد صرحت إحدى أبرز من قاد الحركة النسوية في العالم العربي والاسلامي، الكاتبة والروائية المصرية (نوال السعداوي) في دفاعها عن المثليين قائلًا: "لم تنربي على حرية الجنس والعلاقات الجنسية شخصية".

وتقول إحدى النسويات أثناء ردّها على امرأة تنتسب للنسوية وتنكر المثلية الجنسية: "حبيبتي.. إنتي شلون نسوية وضد المثليين؟ يبيلك تراجعين النظرية من أول وجديد". وتقول نسوية أخرى: "الأخوات الحقوقيات المسلمات اللي يرفضون تقبل الملحدّين والمثليين، وهم ما سببوا لهم أي ضرر، بحجة أننا مجتمع مسلم مدري ايش، شفتوا من المجتمع المسلم غير القمع والاضطهاد والتهميش والتقليل وعدم الاحترام والعنف والسب والقذف، باقي بس يدفنونكم أحياء، رغم ذلك متعايشين مع كل هذا الخراء".

انه من حق الزوج والاب الصالح أن يرعى زوجته وابنته، ويتابعهما ويمنعهما من أي سلوك يضر بهما، أو أن ينهاهما عن أي نشاط فيه الإساءة لهما ولغيرهما، كما أنه من حق الأخ رعاية أخته والحفاظ عليها من أنياب الشارع، فكما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وقال تعالى: "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ" (الآية ٦٧ من سورة التوبة).

وخصوصاً في إطار انتشار الفاشينيسا الهابطة عبر القنوات والفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي المسموعة والمرئية، التي لا تحمل في جعبتها أي مضمون هادف أو مفيد أو أي رسائل ايجابية، بل محتوى فقد فيه روح التربية والأدب والحياء والأخلاق والأنوثة والدين.

وفي نهاية المطاف ينشأ جيل منحرف ذوقياً وشاذاً جنسياً، ويصبح لديه قبول للجنس الجماعي -Gangbang- أو -orgy- أو غيرها! وربما يلذ له جنس المحارم - يأتي أمه وأخته وبنته - بدافع دعاوي النسوية التي تنادي بالحرية المطلقة، والتي ليس لها أي حدود أو رادع.

تفكك الأسر

النسوية كان لها الأثر السلبي في اخماد التجمع العائلي حول مائدة الأسرة، فقدت فيه سبل النقاش والحوار والتواصل والتناصح والتواصي بالخير، مما خلف بيئة خصبة للتفكك الأسري الذي نجم عنه الهروب الجسدي والروحي من محيط الأسرة، واللجوء الى حضن بارد وغريب.

لقد أصبح الكثير من النساء -عزباء أو متزوجة- و -صغيرة أو كبيرة- مرتبطات بالجنس الآخر ارتباطاً وثيقاً، بسبب فتور علاقتهن بالوالدين أو بأزواجهن أو بإخوانهم، فتنعطف هذه الفتاة أمام مفترق طرق، لتختار خلاصها في سبيل النسوية نحو محيط فاسد فكرياً وسلوكياً.

تشويه الزوج

لعبت النسويات دوراً مباشراً في تشويه صورة الزوج، فقمّن بتصدير حكايات وروايات فانتازية عن الزوج، وخيانتته وظلمه وقهره واستعباده وشهوانيته وجبروته لزوجته، وأصبحن مصدر إلهام لعموم النساء عن طريق هذه القصص الخيالية.

تقول الطبيبة والكاتبة والروائية المصرية (نوال السعداوي) وهي إحدى رموز النسوية في العالم العربي والإسلامي: "إن الزواج في مجتمعنا أصبح نوعاً من البغاء المقنع، لأن الفتاة لا تتزوج برجل تريده وتحبه فتكون العلاقة بينهما شريفة".

أحد شطحات النسوية أنها تعتقد أن العنف يقع عليها داخل مؤسسة الزواج من قبل الزوج الهمجي والبربري، بينما أصبح الرجل في زماننا هو الذي يعنف داخل المنزل.

حالياً يعنف الزوج داخل أسوار البيت بحماية النسوية الدولية، وهناك حالات كثيرة طالعتها بهذا الخصوص، وكان أبرزها وأوسعها إعلامياً قضية تعنيف الممثلة (أمبلر) لزوجها الممثل (جوني ديب) حيث تعرض من طرفها لأسوأ أنواع التعنيف اللفظي والجسدي، فكانت تسبه وتضربه وتتغوط على السرير، كما وأنها خانتة مع الممثل (جيمس فرانكو).

والقصص المشابهة لهذه الحكاية كثيرة، خصوصاً في مصر والشام..

طعن الأديان والتشريعات

اعترضت الطبيبة المصرية والكاتبة النسوية (نوال السعداوي) على عدل الله في توزيع الميراث، واتهمته أنه منحاز للذكر في هذه المسألة، مع أن الله تعالى قال: "ليس الذكر كالأنثى"، ونحن نتحدث عن الطبيعة والهدف الأساسي الذي خُلق له الجنسين، وليس عن أفضلية.

كما أن -السعداوي- احتجت ورفضت مسألة تعدد الزوجات، وطالبت بزواج مدني يقتصر على زوجة واحدة فقط، وحكم مدني يقوم على توزيع الميراث مناصفة بين الرجل والمرأة، وقد اندفعت المرأة المسلمة للأسف الشديد خلف هذا القضاء.

وأضافت السعداوي في قضية التعدد: "إن تعدد الزوجات ليس حلاً إنسانياً، وأن الأديان التي تبيح تعدد الزوجات هي أديان نشأت في مجتمع طبقي أبوي عبودي لتتساءل لماذا نفرق بين الرجل والمرأة".

كما أنها تهكمت على الدين واركانه، فقالت: "أن الدين هو تجسيد للعنصرية. كل الآلهة غيورين. يقتل الناس لأنهم لا يصلّون إلى الإله الصحيح"، كما وأكملت تقول: "تقبيل الحجر الأسود والطواف حول الكعبة أفعال وثنية".

التمرد على الله

لم تتوقف محاولات الفحل النسوي في معاداة واخراس وتغييب الرجل ودوره في المجتمع، بل إنها تبادت في حق التشريعات والدين والكتب السماوية، حتى أنها وصلت أخيراً الى الطعن في حق خالقها "الله سبحانه".

حيث قامت (نوال السعداوي) بتعيين جنس الله سبحانه على أنه ذكر، مستشهداً بآيات من سورة الإخلاص عندما قال ربنا جل في علاه: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝" سورة المسد.

فقالت السعداوي تعليقا وسخرية بالآيات السابق ذكرها من سورة الاخلاص: "لماذا قال "هو" ولم يقل "هي"؟ هذا يعني أن الله ذكر، ولذلك انحاز للذكورة وللجنس الذكري!! (أستغفر الله العظيم، تعال الله عما يقولون).

((ولقد أجبت على هذه الجزئية في كتابي "عين الفيلسوف" وكتابي الآخر "رحلتي في البحث عن الإله").

وتقول أيضا الكاتبة المغربية وعالمة الاجتماع النسوية (فاطمة المرنيسي): "وحيث يرى الله أن المرأة عنصر هدام، فيقتضي الأمر عزلها مكانيا وإبعادها عن كل الأمور باستثناء تلك الخاصة بالأسرة".

تركب النسوية فرس المعاصي لتبارز من خلقها وأنصفها ومنحها الحقوق -الله تبارك وتعالى- مع أنه سبحانه جاء بالإسلام حقيقة لإنصاف المرأة والنسوية على كل الأصعدة، ومنحها حقها في العيش بعد أن كانت تواد وهي على قيد الحياة.

إن الله سبحانه لم يعنون أي سورة باسم "الرجال" ولكنه فعل ذلك بالنسبة للمرأة، فعنون سورة كاملة باسم "النساء"، إكراماً للمرأة ومكانتها في عينه سبحانه، ووضح فيها الحدود والحقوق، ولكن النسوية جحدت ذلك وكفرت به، وقالت بحقه -جل في علاه- أنه ذكر ومنحاز للرجل وللذكورية !!

أي جحود هذا يا معشر النسوية؟! أي كفر هذا؟!

مجتمع أنثوي

أين المرأة المسلمة في القرن الحادي والعشرين من هذا الصراع الذي يشنه الفحل النسوي على الرجل في المجتمع؟؟

إن النسوية تقوم بخلق مجتمع أنثوي اختزلت فيه وجود المرأة لمنحها القوامة لسيادة الرجل وريادة الكرسي، حيث زرعت في عقل المرأة أنها أعجز من أن تفهم، أعجز من أن تتعلم أمام الطاغوت الذكوري.

ولقد تمّد هذا الفكر النسوي الى المرأة العربية ثم المرأة المسلمة، وها هي المرأة المسلمة تتمرد وتثور ضد التشريعات والدين، بل وعلى الله بذاته وصفاته -سبحانه- والإسلام براء من هذا التوجه الإقصائي.

إننا نعيش بين حركات نسوية تصادر مساحة الإنسان وتحوله إلى شيء مادي، ولقد وصف ذلك المفكر وعالم الاجتماع المصري (عبدالدوهاب المسيري) في كتابه "الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان".

ومن هذا المنطلق النسوي أيضاً جاءت طروحات (سيمون دي بوفوار) القائلة: "لا يمكن للمرأة أن تكون بالمقابل فرداً كاملاً مساوياً للرجل إلا إذا كانت هي نفسها شخصاً بشرياً لها جنسها الخاص، فالتخلي عن أنوثتها يعني التخلي جزئياً عن إنسانيتها".

فأعطت الجنوسة حقها ونهضت إلى جانب المرأة بكل حالاتها، وأعطتها جميع الأعذار حتى حين تصبح شريرة، مؤكدة أن المرأة لا ترتكب الشر لذاته، بل تلجأ إليه مكرهة لتحمي نفسها وزوجها وأطفالها.

النسوية هي دينامية تؤسس لما اسميه التشيء للمرأة العربية والمسلمة، وهذه هي مخلفات النسوية المتوحشة التي تقتات على قيم الإسلام وتؤسس لثقافة الفردانية المؤتثة بسلطة مركزية القرار، لتنشئ مجتمع أنثوي ينفي وجود الرجل من كوكب الأرض.

ومع تفشي سرطان الفحل النسوي في المجتمعات العربية والإسلامية لم نعد نواجه الخطر القمعي للرجل فقط، وإنما إعادة إحياء العصر الرجعي والجاهلي عندما كان الكفار يعبدون الأوثان، ولكن مع فارق اختلاف الإله، حيث أن المرأة هي الإله في زماننا.

وفي نهاية المآل.. ماذا نتج على يد النسوية سوى تشويه المرأة، وهدم الأسرة، وضياع الأبناء، وهز القوامة، وتحطيم القدوة، وتشويه الرجل، وانتشار الإختلاط، وانتهاء الحياء، وقلة الأدب، وانعدام الأخلاق، والترجل والإستفحال، والخلع والتعري، والشذوذ الجنسي، و الزنا والسحاق، وتخوين المرجعية، وتعطيل الشرائع، والكفر بالدين، والإلحاد بالإله، لتكون النتيجة هي تفريخ كائن لا نعلم هل هو ذكر أم أنثى؟! إن لبنة الحركة النسوية هي الفكر الليبرالي، وهذا الفكر يدعو إلى الحرية المطلقة للمرأة في جميع الحقوق والسلوكيات ومساواتها بالرجل في كل شيء.

الثورة النسوية إلى أين

بعد كل ما تقدم ذكره، هذه تساؤلات أوجهها إلى النسويات، وأقول لهن:

"في ظل هذه النزعة للتفرد والهيمنة عبر مشوار النسوية الإجرامي لتحنيط وتجميد الرجل وتحرير وصك المفاهيم والمصطلحات التي تطرح في ثناياها تساؤلات تنتحل فيها صوت الرجل والمرأة معاً وتنحاز بها إلى نفسها، هل وصلت النسوية إلى التحرر والإستقلال من قبضة الذكورية؟ هل بلغت النسوية وجهتها وأثبتت دورها الطليعي الذي تجاوزت به الشعارات والتجريد والتنظير نحو الفعل والجلوس على كرسي الزعامة؟ أم أنها ما زالت تتمايل متخبطة وعارضة حياتها للبيع فوق الأرصفة، تنتظر محطة خامسة تسندها كي تقف مرة أخرى على قدميها؟! ومع صور اغترابها عن أنوثتها وذاتها ودخولها في شتاتها العظيم في مسيرة متجردة وخالية من الروح والدين والأخلاق والأدب والحياء والقيم، هل وصلت النسوية إلى شاطئ الحرية كما تزعم؟ هل وصلت النسوية بعد كل هذا وذلك إلى مبتغاها ووجهتها؟ أم أنها ستخلع كل شيء وتشتبك مباشرة مع الإله في محاولات بائسة لتحنيته وبلوغ نشوتها المصروعة؟!

الحضن الغربي للنسوية

النسوية هي رصاصة يطلقها المجتمع الغربي على المجتمع العربي والإسلامي لتفتيت لحمه واحلال أخلاقه تحت لافتات كتبها عليها "حقوق المرأة والمساواة ونبذ العنف".

لقد قام الغرب بدعم النسوية لتثور على الأنظمة العربية في المغرب وتونس والسعودية ولبنان وفلسطين وغيرها، وكان ذلك تحت أعين الاعلام الغربي، والتي كانت نتيجتها اعتناق احدى الفتيات السعوديات الإلحاد، والكفر بالإله، والتمرد على العادات والوطن والدين، ثم هربت الى تايلند، وقامت باللجوء الى كندا، فاستقبلوها استقبال الفاتحين تحت ترحيب وتصفيق عظيم، حيث كانت من بين تلك الأيادي الفرحة "رئيس الوزراء الكندي" والذي قام بضمها بحفاوة، وهى لها كل سبل الحماية، ثم جاء دور الاعلام الذي أظهرها بصورة المُعَنِّفة والمحتقرة والمضطهدة أمام العالم.

وفتاة عربية أخرى كانت سحاقية، فهربت هي الأخرى الى الحضن الغربي، وأعلنت شذوذها في أرضه، وكالعادة يكون الدور النهائي للإعلام الغربي الذي يرتب ويحيك القصة كفيلم سينمائي حزين.. والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

ان هذه الهجمة الشرسة على الأم وعلى الثوابت وهروب الفتيات العربيات والمسلمات للبلاد الغربية لم يكن وليد الصدفة، وإنما كان نتيجة تخطيط لسنوات عديدة وعمل ممنهج خبيث.

والحقيقة هي أن واقع المرأة مؤلم في العالم الغربي، والصورة مزيفة هناك، إذ إن المرأة في بلادهم عبارة عن آلة ميكانيكية تعمل ليلاً نهاراً، كما أن تعنيف المرأة واضطهادها وسلبها للحقوق في العالم الغربي بازدياد، فهناك احصائيات كبيرة ومخيفة دونتها بعض الجهات الإخبارية الغربية عن بلادهم والتي تتحدث عن عدد هائل من المشرذات اللواتي يتوسدن الطرقات، ولا يجدن الطعام ولا اللباس ولا المسكن، ناهيك عن حالات الاغتصاب والقتل للنساء التي تقع بشكل شبه يومي في العالم الغربي المزيف والضال والمضل.

النسوية تريد الحرية المطلقة بلا قيود ولا ضوابط، وإن أرادت قانون يحكمها فهو بالتأكيد ليس قانون الله، وإنما قانون وضعي يتمشى مع هواها وأغراضها وأهدافها وشهوتها، تقول إحدى النسويات: "الحرية الجنسية أساس من أسس الحركة الحقوقية النسوية، ولا نخجل من ذلك، ولا نخفيه، بل نعلنه بقوة، لن يقيدنا أحد بالكلمات، ولا بالقوانين وبالتهديات والقتل، نحن هنا حرائر فكريا وجنسيا"، وتقول أخرى: "النسوية والإسلام لا يجتمعون، لمجرد كون النسوية هي المساواة بالحقوق، والإسلام يفضل الذكر بأكثر من آية، ويستنقص من المرأة ويأمر بضربها، وتقول ثالثة: "قولي كيف تصلي المرأة لإله احتقر المرأة"، وتقول رابعة: "مناهج التعليم تهين المرأة، ويعود الفضل في ذلك طبعاً للقرآن والأحاديث"، وخامسة تقول: "مارسي الدعارة، ولا تقعي مستعبدة بالإسلام الذي يكذب عليك، لأنه يكره المرأة، والقبيلة في ظل الإسلام تقتل المرأة إذا كشفت وجهها".

النسوية تعمل وتشتغل بكل وضوح ضد الله سبحانه وأحكامه وتشريعاته، وضد دينه الذي ارتضاه وأنزله في كتابه، والذي يوضح الفارق في الأحكام الشرعية بين الرجل والمرأة لطبيعة كل منهما، وليس لتفضيل أحدهما على الآخر، فلكل منهما طبيعة وخصائص، ولكل جنس دوره الذي يتلائم مع طبيعته، ووظيفته المخلوق من أجلها لتحقيق المصلحة المشتركة والخلافة وعمارة الأرض.

نقدي للنسوية وأفكارها وأذرعها

النسوية عندما شيدت وأطلقت مصطلح "الجندر" أرادت به "النوع" وليس "الجنس"، فلفظ ومفهوم "الجنس" واضح للجميع، لكن لفظ ومفهوم "الجندر" الذي صنعه النسوية هو الغاء الاختلاف والتباين والفارق بين الجنسين "الذكر والأنثى"، بمعنى أن الذكر والأنثى -الاثنين معا- هما نوع واحد، معللين أن الانسان يولد انساناً وفقط، ولا يوجد للاختلافات العضوية والبيولوجية أي مكان في نسيج الجندرية.

ولقد تم تعريف "الجندر" من قبل منظمة الصحة العالمية على أنه: "المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة على أنها صفات اجتماعية مركبة".

مصطلح "الجنس" واضح ومعلوم ومفهوم، لكن مصطلح "الجندر" غير واضح، وهو مطاط وفضفاض، ويُفهم منه توليد "جنس آخر" أو "جنس ثالث" ليس بذكر ولا بأنثى، فليس هناك أي اعتبار عضوي وبيولوجي للأعضاء التناسلية أو الجنسية، والذي يقوم بتحديد هذا الجنس الجديد هو البيئة والمجتمع أو الرغبة الذاتية، فليس معنى أنك اذا ولدت ذكراً بأعضاء تناسلية ذكورية وتمارس النشاط الجنسي الذكري المترتب عليه هذا يعني أنك ذكراً في الحقيقة، فبحسب مصطلح "الجندر" فإنه يمكنك اختيار هويتك الجنسية وأن تتحول من ذكر الى أنثى، وكذلك الأنثى يمكنها أن تتحول الى ذكر تحت رعاية الجندر، فالمرأة ليست امرأة إلا اذا أعطاه المجتمع هذا الدور، أو فرضت عليها البيئة هذا الدور، أو قامت باختيار ذاتي وشخصي لهذا الدور، وكذلك الرجل.

وهذا عكس الفطرة والصورة التي ركب الله تعالى عليها الانسان، وجبله ورسمه الى ذكر وأنثى، قال تعالى: "وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى" (الاية ٤٥ من سورة النجم). فالذكورة والأنوثة هي إرادة إلهية، وهي من مقتضيات الفطرة، كما أنه عكس الأعراف الغير سوية، فالإنسان تاريخياً وإنسانياً إما ذكر أو أنثى.

حتى الكون عبارة عن قلادة مركبة من الثنائية، حلقة من الشيء، وحلقة من نقيضه، واللّتان تنتظمان جنبا الى جنب لتشكيل هذا الكون الوجودي المحسوس والملموس والمرئي والمسموع، وإذا قمت بتر أي حلقة أين كان مكانها يختل النظام الكوني وينحل.

والنوع الانساني هو عبارة عن قلادة مكونة من الرجل والمرأة، ينتظمان كحلقة ذكورية وحلقة أنثوية، ينتظمان جنبا لجنب لتشكيل أعظم بناء في هذا الكون، ألا وهو الإنسان، وإذا قمت بتر أي حلقة -سواء الذكر أو الأنثى- ينفرط العقد الانساني، لذلك لا تكتمل وتنتظم وتتشكل القلادة الانسانية الا بافتقار الزوج الى زوجه.

ثنائية -الذكر والأنثى- ليست مختزلة على الفيزياء، وإنما تتجاوزها عبر الدين الى ما وراء المادة، فهي أمر عقدي له براهينه وشواهد، وهي أحد مستحضرات الخلافة المبنية على التكامل والتوافق، كما أنها أحد نواميس الكون الذي لا يعمل بآلية التّقابل والتّنافر.

إرادة وحكمة الله أن يخلق الشيء ونقيضه، ففي حقل الكوزمولوجي "Cosmology" خلق الله الكون من الذرة وأضداد الذرة، وكذلك الإنسان، خلقه الله تعالى بصورتين -الأنثى والذكر- وهذا الاختلاف ليس من باب الأفضلية والتميز، وإنما لعلّ الدور المقترن بكل جنس منهما، والذي يتوافق مع تكوينه ويتناسب مع طبيعته.

قال تعالى: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (الآية ٤٩ من سورة الذاريات)

إن الفطرة والحقيقة والصواب تتعلق بانسجام الجنس مع طبيعته، وهذا لا يقتصر على النوع الإنساني فقط، فلو أمعنا النظر في حقل "Ichthyology" سنرى أن السمك ينقسم في الجنس الى ذكور وإناث، وهناك اختلاف كبير بين الأسماك من الذكور، والأسماك من الإناث، حيث يوجد اختلاف بينهما في المظهر والسلوك والدور، فالذكور عادة تكون أكثر تلويناً وزعانفها أطول، أما الإناث تكون زعانفها أقصر، كما تمتلك الأسماك من الذكور عضوا خاصا يسمى "gonopodium" والذي يستخدم لنقل الحيوانات المنوية الى الأنثى اثناء التزاوج، بينما الإناث تضع البيض وتحرسه حتى يفقس، كما أن السمكة تموت لو أخرجناها من الماء، لأن السمكة خلقها الله تعالى في بيئة خاصة لتعيش بداخلها، ألا وهي "الماء".

فهل من المعقول أن نساوي بين الأسماك من الذكور و من الإناث ببعضهم في الشكل أو الخصائص أو الطبيعة أو الدور؟! أو أن نغير بيئتها التي خلقت حصرا للعيش فيها؟! وهذا لا يقتصر على عالم الأسماك فقط، بل كل حيوان أو كائن يتكون من ذكر وأنثى وله طبيعته وخصائصه ودوره وبيئته، حتى المادة، وحتى المثلث الكهربائي يتكون من Male و Female المختلفان في الشكل والتركيب والوظيفة.

ولقد بين الله تعالى هذا التباين في سورة "آل عمران: الآية ٣٦" حينما قال جل في علاه: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى"، إن "أل- التعريف" المقرونة في الذكر والأنثى في الآية الكريمة لا تقتصر على النوع الإنساني فقط، وإنما يدخل تحت ثناياها وتضاعيفها كل الكائنات والأشياء.

ولكن الله سبحانه قال: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} وقوله تعالى: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} وقوله تعالى: {فَإِنْ لَّمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}. وقوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ}. والأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى كثيرة.

ومن هنا أقول: "لا يوجد مساواة متجانسة أو متشابهة أو متطابقة مطلقة بين الذكر والأنثى، أو بين الرجل والمرأة، وإن المساواة التي تنادي بها النسوية هي فكرة مادية علمانية، تهدف من خلالها الى رمي مبدأ الثنائية والمفارقات الطبيعية والتفاوتات التكوينية التي جبلت عليها الأشياء، وكيف يعقل لها أن تطلب المساواة بالذكر والرجل في كل شيء، ولم يرسل الله رسولا أو نبيا من جنس الإناث؟! بل كانوا من الذكور والرجال فقط!! وهذا ليس من باب التمييز والمفاضلة، وإنما من باب الطبيعة والدور.

ان الصورة الالهية للإنسان ان الله تعالى خلق الذكر ذكرا والانثى أنثى وفق شكل معين وطبيعة واضحة ودور محدد لكل منهما، أما الصورة الجندرية الناجمة عن النسوية فهي جعل الذكر أنثى والأنثى ذكر وفق شكل مشوه وطبيعة شاذة ودور مقلوب ومفقود.

النسوية تمرر من خلال الجندر غايات خطيرة، والتي أهمها "هدم الاسرة" من خلال "هدم المرأة"، ويكون ذلك بإلغاء الدور المركزي لها ألا وهو "الامومة"، فيحق لها أن ترفض الحمل أو الرضاعة أو أن تقوم بقتل جنينها "الإجهاض"، كما أنها تدعو الى هدم وردم الاختلافات البيولوجية "الجنسية" والطبيعية والفطرية، وذلك يترتب عليه إلغاء "الرجل" ودوره في الاسرة والمجتمع، والذي ينجم عنه العلاقة الجنسية المثلية والشاذة بين النساء "السحاق"، فينشأ الطفل في بيئة وأسرة لا يوجد فيها العنصر الذكري، مكونة من جنس واحد "امرأة مع امرأة" فقط، ما ينجم عنه انحلال هذا الطفل جنسيا ومثليا في المستقبل.

وان كان للرجل دور ومكان فسيكون ضمن بيئة تنافسية وليست تكاملية.

وهناك سؤال مهم خلف كل هذا: "ما هي طبيعة العلاقة الزوجية في ظل النسوية؟".

إن الواضح من النسوية أنها تقوي المرأة على عدم تأدية واجباتها سواءً أكانت أم أو زوجة، فهي تهدم مفهوم الأمومة الذي يتعلق بالجانب الخاص بأطفالها، كما أنها تهدم جانب الزوجة من حيث عدم قيامها بحقوق زوجها وما يتعلق به مما أحله الشرع له، وهي بذلك تعمل على هدم الأسرة وتفكيكها.

إحدى الناشطات النسويات الغربيات والتي زارت بلادنا العربية والإسلامية، وعندما شاهدت واطلعت على حياة المرأة المسلمة، وانها تجلس معززة مكرمة في بيتها، قالت: "والله إنها لملكة، وجدتُ المرأة جالسة في البيت يخدمها الأب، يخدمها الابن، يخدمها الزوج، يأتيها الزوج آخر اليوم في قلبه الحب وفي يده الخبز وعليه العرق والتعب، وهي جالسة أميرة مخدومة"، وكررت قولها: "والله إنها لملكة"، ثم أردفت تقول: "لكن نحن المغفلات نحن نطالب بالمساواة بالرجل، فقَبِلَ الرجلُ الغربيُّ الفكرة، فساويناها في العمل والتعب والكدح، ولم يُساوينا أو يُشاركنا هو في الحمل والوضع والإرضاع!!" وختمت تقول: "حقًا.. نحن مغفلات".

إن المرأة التي تعمل عمل الرجال، وتصبر على مديرها ولكنها في المقابل لا تصبر على زوجها هي في الحقيقة تنقلب على فطرتها، فشرف المرأة في بيتها، الا اذا اضطرت للعمل في مجال يناسب المرأة وحياتها مع قيامها بدورها الرئيس وهي أن تكون زوجة و أم.

النسويات الذين يرون في الذكر والرجل خصماً ضد الأنثى والمرأة -النساء والفتيات- اللواتي تعرضن للعنف الجنسي أو الزواج القسري أو التعذيب أو القتل من قبل الذكورة، يعلمون أن الرجال والصبيان أيضاً وقعوا ضحايا للتحقير والتعنيف والإتجار والابتزاز والتمييز والتهميش والاستهلاك المادي والحرمان العاطفي والعنف الجنسي والقتل من قبل النساء والفتيات في الحقيقة.

لذلك.. ينبغي ألا يقتصر النظر إلى النساء والفتيات على أنهن ضحايا لهيمنة الذكر، بل إن الرجال والصبيان هم من أصبحوا ضحية لإبتزاز وتلاعب واستغلال وبطش الأنثى.

كما أن النسوية تدعوا الى تشيء المرأة، والتي يصدر عنها العلاقات المحرمة باختلاف اشكالها والوانها "كالبغياء والسفاح وزنا المحارم وغيرها"، وبدعوى الحرية وأن "جسد الفتاة هو ملكها" فقدت المرأة أنوثتها وحياتها وادبها، وخرجت كاسية عارية في الشارع، وفي الحانات والمراقص، وعلى الصحف والمجلات والفضائيات، وبسببها انتشرت "المساكنة والشراكة" بدلا من الزواج والاستقرار.

كما أنها دعت الى المساواة "الاجتماعية والسياسية والثقافية والجنسية والفكرية والاقتصادية" المطلقة بينها وبين الرجل، ولكنها ذهبت لأبعد من ذلك، فدعت الى المساواة اللفظية "اللغوية"، من خلال الغاء الضمائر المذكرة والمؤنثة، وقد تم إقامة مؤتمر بخصوص ذلك في اليمن عام ١٩٩٧م بعنوان "جندرة اللغة".

ولقد تحدثت سابقا أنه جاء في كتاب "الجنس الآخر" للكاتبة الفرنسية (سيمون دي بوفوار) والتي كتبت فيه تقول: "الواحدة منا لا تولد أنثى، ولكن تصبح أنثى"، وهي بذلك تعني أن الأنثى تولد إنسان جندري -لا هي أنثى ولا هي ذكر- والتنشئة التربوية والبيئية والاجتماعية هي التي تصوغها وترسمها وتشكلها وتجعل منها أنثى، وقد تجعل منها ذكرا!

احدى الناشطات المصريات بالقضايا المتعلقة بالمرأة -وهي مستشارة قانونية- تحدثت لإحدى الإذاعات على أن مصطلح "فمينيست" يستخدم بتطرف بصورة مطابقة للتطرف الديني الذي لا يعبر عن حقيقة الدين والإسلام، ووضحت أن فكرة المساواة بين المرأة والرجل يتم طرحها بشكل خاطئ من قبل النسويات، حيث يدافعن عن المرأة بصورة جارمة وبعيدة عن الصواب والآليات المشروعة والأعراف والدين، ويقمن بتأسيس العنصرية وتأجيج الصراع بين الرجل والمرأة في المجتمعات، والدعوة الى الانحراف والتعري والسفاح والمساكنة والزنا وغيرها من الأفكار الضالة والهدامة.

واعتبرت أن هناك كم كبير من الفتيات اللواتي وقعن ضحية لمثل هذه الأفكار النسوية الهدامة، فمنهن من تم استغلالهن ووقعن بالزنا والشذوذ والسفاح، والكثير منهن من حملن ووضعن أطفالهن على الرصيف وفي الشارع، ومنهن من اضطرن الى قتل الجنين، وكل ذلك كان تحت مسمى الحرية المطلقة التي تنادي بها النسوية.

وقد نادت إحدى أعضاء المجلس القومي المصري للمرأة في إحدى الجلسات، أن المجلس سيعقد برامج للتوعية لتصحيح المفاهيم النسوية التي تعمل ضد استقرار المرأة.

ولا شك أن هناك نزاع داخلي في جسد النسوية، حيث أن النسوية الإسلامية تعارض وتحارب النسوية الليبرالية، وكما هو الحال في النسوية الراديكالية.

وعلى صعيد النسوية الإسلامية، كيف تزعم النسوية أنها مسلمة ومؤمنة وهي تطالب في المقابل بإسقاط شرع الله من خلال محو التعدد والإرث وخلع الحجاب واتهام الله بالذكورية، والتعري وممارسة الدعارة والشذوذ! ما هذا التناقض العجيب؟ قال تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"، وقال تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ".

ولو أخذنا الولاية والدية والحجاب والنقاب والتعدد والإرث كأمثلة، نجد النسوية الإسلامية قد عملت على رد النصوص وتغييرها وتحريف معاني القرآن والطعن في الحديث ورواته والمعنى المراد منه بما يتناسب مع هواها وأغراضها، فقامت بتضعيف الحديث الوارد في الولاية العامة، وأبطلت تنصيف دية المرأة من دية الرجل لأنها لم ترد في القرآن، وقالت عن الحجاب أنه كان عادة اجتماعية، والغرض من وراء ارتدائه هو الإحتشام وستر العورة المغلظة فقط على حسب العرف آنذاك، كما أن النقاب كان عادة يهودية قبل الإسلام، كما أن التعدد هو شرع للتكافل الاجتماعي وموجوداً قبل أن يذكر في القرآن... إلى آخره من تأويلاتها وفتاوها الضالة والمضلة.

قال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ" (الاية رقم ٩ من سورة محمد).

سألت عائشة رضي الله عنها: "ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟"، فقالت: "أحرورية أنت"، قلت: "لست بحرورية ولكني أسأل"، قالت: "كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة". بمعنى أن أمنا عائشة - رضي الله عنها - أنكرت الاعتراض على السنة، وبيّنت أن هذا مسلك الخوارج الذين يعملون بظاهر القرآن وينكرون السنة اعتماداً على قصور فهمهم وفساد فكرهم.

جاء عن أمنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما انتقم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله". متفق عليه

الإعتراض على الأحكام الشريعة وعدم الرضى بأوامر الله والتسليم بحكمه والعمل به، لا يكون من امرأة مسلمة ومؤمنة حقاً!! والنسوية هي أيديولوجيا قائمة على الإنتقائية والمزاجية والانتقام من شريك الحياة، فباتت تطالب المرأة حول العالم وتحثها عن العزوف عن الأمومة والأنوثة، وبالتالي لا زواج ولا حمل ولا رضاعة ولا أمومة، وهكذا لا تكون المرأة تابعة له، ولا يكون الرجل صاحب القوامة والسلطة بالمقابل، وهذا يتطلب ردم الأديان، لأنها هي الباعث الرئيسي على وضع المرأة خلف قضبان الزوج والذكر، ولذلك وقعت النسوية في صدام مباشر مع الدين والمجتمعات حول العالم، سواء أكانت مسيحية أو يهودية أو بوذية أو إسلامية أو مدنية أو غيرها.

كما دعت وسعت الى الانتقال من المساواة السياسية والاقتصادية والقانونية، للمساواة الجنسية والجسدية واللغوية، مما أوقعها في صدام مع العلوم التجريبية والطبيعية، ومع الطب والبيولوجيا، ومع الثقافة والدين.

فمن الزاوية الدينية، دخلت النسوية في صراع مع الدين، لتعارض أفكارها مع النصوص الدينية والشرعية، حيث رفضت النصوص وغيرتها وبدلتها وأولتها على حسب هواها وحاجتها، ومنهم من كفرن بالدين وبالإله من أصله، كي تخرج من دائرة التحليل والتحريم التي تقيد حريتها.

ومن الناحية الأسرية والاجتماعية والسياسية، دخلت النسوية في صراع مع فكرة الزواج، فرفضتها كي لا تقع في مسائل الامومة من زواج ومسؤولية وحمل ورضاعة ورعاية وحقوق الزوج، وهذا أدى الى تزايد حالات العنوسة، وتراجع نسبة المواليد، وارتفاع الشذوذ الجنسي، كحالات السحاق واللواط.

والحديث يأتي بالحديث..

كيف لأسرة تعمل فيها الزوجة لساعات طويلة وتعاني كل ألوان الشقاء، ويغيب فيها الزوج عن المنزل حتى حلول الليل أن تربي الأولاد؟ من أين تأتي الزوجة بوقت لتدريسهم وتربيتهم أو بسعادة الصدر لإستيعاب مشاكلهم واحتواء مشاغباتهم؟! ومن هنا أرى أن الزوجة في العصور القديمة كانت متفرغة أكثر لتربية الأبناء والاهتمام بمنزلها وحقوق زوجها، لأنها كانت في المنزل، تجلس في بيتها معززة مكرمة، بينما يذهب زوجها من باكورة اليوم الى العمل وتحصيل المال للإنفاق عليها وعلى أسرته.

إن طفل الحداثة في زماننا محروم من الأم وحنونها، ولا شك أن الذي يربيها هو الجوال أو الشارع أو أصدقاء السوء، والذين هم البوابة الرئيسية لتشطي القيم وأنشطار الأخلاق، ناهيك عن الزوج الذي يعود بعد عناء العمل وتصيب العرق الى حوض بارد وجثة غريبة، ما يزيد من فجوة الاغتراب حتى الشتات وتفكك الأسرة والتي تنتهي بانحلال المؤسسة الزوجية وضياح الأولاد.

وهنا أقول: "هل ميرا من حطمت المنزل؟ أم المنزل من حطم ميرا؟"

عندما نسمع عن احدى الفتية أنها تشرب الخمر، أو تتعاطى المخدرات، أو تعمل كباغية في إحدى الفنادق أو الكابريهات أو البارات، أو تمارس الزنا من أجل المال أو بدافع الحب، فإنه يترادف لذهننا مباشرة أن هذه الفتاة منحرفة وفاجرة وزانية ومومس يجب الإنقضاء عليها ورجمها.

وعندما نرجع لأهلها يقولون: "نحن نتبرأ من هذه الابنة الفاجرة، لقد حطمت منزلنا وسمعتنا، وأصبحنا علكة يمزغها أهل الحي والمنطقة بأسرها"، ليصبح مأوى ومسكن هذه الفتاة الشارع، وربما تنتقل من منزل شاب لآخر، وهي في الحقيقة تقفز من حوض لآخر.

أما عن المجتمع حدث ولا حرج، فقد ختم عليها بالعاهرة فلانة، العاهرة "ميرا"، والكل ينظر إليها على أنها تلك العاهرة التي ليس لها أي معنى في هذه الحياة، سوى أنها ذلك الجسد الذي يدنسه هذا الشاب ويوسخه ذلك العجوز.

لكني في الحقيقة أريد أن أسأل النسوية سؤال: "هل ميرا من حطمت المنزل؟ أم المنزل من حطم ميرا؟" الأهل والمجتمع يقول: "ميرا حطمت المنزل وسمعة أهلها"، لكن ماذا لو أن المنزل هو من حطم ميرا!!؟ ماذا لو كانت ميرا ضحية!!؟

هل المنزل الذي كانت تسكنه الفاجرة والباغية -ميرا- مترابط؟! هل الأب والأم على علاقة زوجية صحيحة وسليمة يسودها الحب والإحترام والرحمة والإهتمام؟ هل الأبوين منفصلين عن بعضهما؟ هل الأب يعنف إبنته ويضربها؟ هل الأب يحضنها؟ هل الأب بخيل ولا ينفق عليها؟ هل الأخ يساعدها ويحميها؟ هل الأم ربّت إبنتها التربية الصحيحة والسليمة على كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؟

من حطم من؟ هل ميرا من حطمت المنزل؟ أم المنزل من حطم ميرا؟ لماذا لا تكون الأم التي تقضي معظم وقتها على مواقع التواصل الإجتماعي -على الفيسبوك والتيك توك- وعند صديقاتها غير مكترثة بإبنتها التي تقضي جل وقتها على الهاتف المحمول وعن أصدقاء السوء لعدة ساعات هي السبب في نحت ميرا الفاجرة؟! لماذا لا تكون الأم التي تستيقظ من الساعة السادسة صباحاً وتذهب للعمل لتعود الساعة الرابعة عصرًا منهكة ومتعبة، تاركة إبنتها في الحضانات وبين أحضان أم أخرى، هي السبب في صنع ميرا الباغية!!

في الحقيقة أنتم من صنعتم الفجر والعهر والانحراف! أنتم من حطمت ميرا! أنتم من صنعتم ميرا الفاجرة!

الفتاة التي خرجت الى الشارع بلباس شبه عارية، هي في الحقيقة شاهدت أمها ترتدي هكذا! الفتاة التي رأيته تتوسد حضن ذلك الشاب، هي في الحقيقة كانت تفتقد حضن أمها! وهذا ليس مبرر للفتاة أن تفعل ذلك، وأنا لا أدعوا إلى ذلك، لكن نحن نريد أن ننضوي على هذا الجيل التائه والضائع والحائر والمنحرف، حيث أن الذين كانوا السبب في ضياعهم هن الأمهات، لذلك قد تكون الوالدة أم وقد لا تكون، قد تكتفي والوالدة صاحبة البويضة بمهمتها البيولوجية والجنسية، بعيدا عن بث المفاهيم التربوية والدينية والأخلاقية في أطفالها.

قال تعالى : "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ" (الاية ٢١ من سورة الطور).

لذلك أن أكرر السؤال عليكم مرة أخرى: هل ميرا من حطمت المنزل؟ أم المنزل من حطم ميرا؟ وهل زادت سعادة النسوية في ظل هذه الحادثة المتخلفة؟ لا والله.. أنها من تعاسة إلى أتعس..

ولكى لا أفهم بالمقلوب.. أنا لا أطلب من الزوجة أن تقتصر وتختزل حياتها في البيت، فمن حق المرأة أن تتعلم وتعمل وتشارك زوجها مجالات الحياة، ولكن في وظيفة تناسب المرأة وتحفظها، وبما لا يتسبب في انشغالها عن الأبناء والزوج والبيت.

وعلينا أن نعلم ونعي -والحديث موجه للرجال- أن كل من لا يعمل على مساعدة زوجته -حسب قدرته- فهو يُخالف هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يعاون أهله، فيخِصِفُ نعلَه ويَخِيطُ ثوبَه، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، وقال: "خيركم خياركم لنسائهم".

كما وأنني أرى أنه ومن أسباب سقوط النسوية بمنظوماتها ومؤسساتها وشخصياتها هو المرأة الغزافية والطفل الغزاي، وما حدث بحقهم في حرب السابح من أكتوبر من مجازر واباتات على يد آلة الحرب الاسرائيلية. وهنا سؤال:

أين حناجر المنظمات النسوية الدولية والحقوقية أمام المرأة الغزافية الفقيرة والمشردة والعطشى والجائعة واليتيمة واللطيمة والجريحة والشهيدة؟! أين هم إزاء كبد طفلها وأشلاءه المنثورة؟!

النسوية بشتى ألوانها وأشكالها وتفرعاتها واتجاهاتها والتي مكثت لسنوات مديدة جدارا يسند حقوق المرأة والطفل -من خلال هجومها على الشرع الإسلامي وهدمها للرجل عبر الغاء دوره وردم جنسه- سقطت بامتياز أمام المرأة الغزافية والطفل الغزاي في حرب السابح من أكتوبر على أهلنا في قطاع غزة؟! لقد فشلت -النسوية- بكل ما تحمله الكلمة من معنى إزاء امتحان الإنسانية واختبار المشاعر والتعاطف وتقييم العقل والفكر من أجل التحرك وتقديم المساعدة والدعم الحقيقي لأطفال ونساء وأمهات غزة الذين ابتلعهن الغول الصهيوني.

كل الجمعيات والمؤسسات والمنظمات النسوية عبر العالم لم تتحرك سوى بالمساحات المسموح لها فقط، ومنها من كان تحركها معدوما!!

وفي معظمها لا توجد أي مساحة حتى لحرية التعبير عن أية أفكار أو انفعالات، إلا في إطار ما تريده الجهة الممولة أو المؤسسات الداعمة أو الدولة المطبعة أو الأحزاب المساندة. كل ذلك ببساطة لأن النسوية نشأت في حوض غربي ووفق إطار أجندة غربية مبنية على مفاهيمها الغربية وثقافتها.

فمثلا "التحالف الدولي للمرأة" في أمريكا، والذي تم صنعه ليدافع عن المرأة وحقوقها، لم يحرك ساكناً أمام تعذيب واغتصاب وقتل المرأة الغزاوية!! و"المجلس القومي للطفولة والأمومة" في مصر، لم يصدر عنه أي صور أو فيديوهات أو تعاطف أو تحرك لدعم الطفل والمرأة الفلسطينية سوى في حدود ما سمح به النظام من إعلان لجمع المساعدات، ولقد تحدثت الصحفية والباحثة والإعلامية المصرية (هبة زكريا) المهتمة بالشأن الفلسطيني بإسهاب حول تقاعس النسوية المصرية و المجلس القومي للطفولة والأمومة في مصر إزاء المجازر التي ترتكب بحق النساء والأطفال في غزة.

كما وأعربت الحقوقية (هبة حسن) عن أسفها الشديد بسبب حالة التناقض بين ما كانت تتبناه منظمات حقوق المرأة ومؤسسات رعاية الطفولة والأمومة المصرية والعربية، وبين صمتها وعدم دعمها للطفل والمرأة الفلسطينية.

ان الحقيقة هي أن المنظمات النسوية تعمل بحسب أجندة واضحة في ما يشغل داعمها وممول برامجها ومشاريعها وأنشطتها، والتي ليست لها أي صلة أو علاقة أو قرابة لما يحدث في مجتمعاتنا واهتماماته، ونساء غزة وأطفالها أكبر برهان وشاهد على سقوط النسوية ومؤسساتها، عشرات الآلاف من النساء والأطفال الذين قتلوا على يد السفاح الصهيوني كانوا غير كفيلين بل وغير مرئيين امام النسوية ومؤسساتها المنثورة حول العالم، ولكنها تحركت في المقابل إزاء امرأة واحدة في عام ٢٠٢٢م، لحظة وفاة الإيرانية (مهسا أميني) حينما اعتقلت بسبب رفضها ارتداءها الحجاب بشكل صحيح، فتم ضربها حتى ماتت، لتكسب تعاطف وتحرك النسوية ومنظماتها على الفور، ولكن عشرات الآلاف من نساء غزة وأطفالهن والذين قتلوا بطرق أبشع بكثير من (مهسا أميني) لم يكونوا بالقدر الكافي لتتحرك النسوية بمؤسساتها لإنقاذهم!!

الخلاصة..

"إنني أعتقد أن هدف النسوية الحقيقي هو اجتثاث المرأة وقص أوراقها، ثم تفريغها من مضمونها وجوهرها، ومن ثم اقتلاعها والقضاء عليها، لماذا المرأة؟ لأنها ببساطة اللبنة الأساسية لبناء المجتمع، ولكي نهدم المجتمع علينا القضاء على المرأة، ولهذا السبب تحديداً تم صنع -النسوية بمؤسساتها- للقضاء على النساء، والذي يقود بدوره الى انهيار المجتمعات".

النسوية لا تريد حرية المرأة

إنهن وحوش ارتدت ثوب الحمل ينادون بحرية المرأة، وهم يريدون في الحقيقة اقتحام كهفها، وأن يخرجوها من حيائها وأدبها وأخلاقها وعفتها وطهارتها، وتخرج تلك الأنثى المسكينة المستغلة من باطن وجوف المرأة لتنسلخ بعدها عن حيائها وأدبها وعفتها.

قال تعالى: " فجاءته إحداها تمشي على إستحياء " (الاية ٢٥ من سورة القصص).

جاء عن الامام أحمد في المسند عن عائشة رضي الله عنها: "كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإني واضع ثوبي، وأقول إنما زوجي وأبي، فلما دفن عمر -رضي الله عنه- فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

يا لحياء سيدتنا عائشة! تستتر نفسها من رجل في قبره!!

قال تعالى: قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتة لجة وكشفت عن ساقها (الاية ٤٤ من سورة النمل) بلقيس لم تكن مؤمنة، وعندما دخلت الصرح كشفت عن ساقها، وهذا أكبر برهان على أنها كانت تلبس ثوبا طويلاً يغطي جسدها ويستره، اذن ستر جسد المرأة واللباس الطويل كان قبل الإسلام، حتى الكفار كانوا يستترون!!

لو فهمت المرأة لغة هؤلاء المجرمين ونفسيّتهم لأدركت أنّ منطقهم هو منطق استهلاكي، من أجل تحويل المرأة إلى شيء يتم استهلاكه.

القضية خطيرة بأنهم يريدون الوصول إليها والحصول عليها، يريدون قضمة منها أو لمسة، وإذا قدروا عليها سيأكلونها ويمضغونها، ثمّ تسجّل قضية شرف، وأضعف الإيمان سيشوّهون صورتها أمام العالمين.

قد يزعج كلامي هذا البعض، ولكن النسوية تريد المرأة بوابة للفسق والفاحشة، والمرأة أرقى وأطهر من أن يتم تشيئها.

لذلك أطلب من المرأة أن تحافظ على الأنثى في جوفها، وأن لا تخلع رداء الأنثى للدُّباب النسوي الواقعي والافتراضي.

الشاعر والكاتب والأديب الإنجليزي الشهير (وليام شكسبير) كتب مرّة يقول: "زينة الغني الكرم، وزينة الفقير القناعة، وزينة المرأة العقّة".

ولقد قيل للعسكري والسياسي الفرنسي (نابليون بونابارت): "أي حصون الشرق الإسلامي أمنع؟"، فأجاب: "الأمهات الصالحات".

لذا كانت معركتهم الأولى هي إفساد المرأة، فهم يعلمون أن إفسادها يعني ضياع جيل كامل، فهل أدرك أحد حكمة النبي ﷺ حين قال: "فاظفر بذات الدين تربت يداك".

طباع الطفل هي طباع أمّه وأبيه أولاً، ثم البيئة التي يعيش بها، وصلاح المجتمعات يبدأ بصلاح الأمهات، لذلك النسوية لا تريد حرية المرأة، بل تريد حرية الوصول إليها.

مقدمة "ابن خلدون" ومقدمة "كار" في الميزان

المؤرخ الشهير (ابن خلدون) وهو عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون الإشبيلي (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) ولد في تونس، وشب فيها وتخرج من جامعة الزيتونة .

ولي الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس، ثم انتقل إلى مصر حيث قلّده السلطان برقوق قضاء المالكية، ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف فكانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي، ومن أشهرها "مقدمة ابن خلدون"، وهو كتاب ألفه ابن خلدون سنة ١٣٧٧م كمقدمة لمؤلفه الضخم "كتاب العبر" واسمه بالكامل "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، يتكوّن من سبعة أجزاء، والجزء الثامن للفهارس.

الجزء الأول هو المقدمة، وهو عبارة عن كتاب لفهم التاريخ العالمي، ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم المجتمع، وقد ترجم إلى العديد من اللغات، وعليه تركز مكانة ابن خلدون وشهرته.

اعتبرت المقدمة لاحقاً مؤلفاً منفصلاً ذا طابع موسوعي، إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب، وقد تناول فيه أحوال البشر واختلاف اتطباعهم والبيئة وأثرها في الإنسان، كما تناول بالدراسة تطوّر الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب انهيارها مركزاً في تفسير ذلك على مفهوم العصبية.

وبهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار حتى إعتبر مؤسساً "لعلم الاجتماع"، سابقاً بذلك الفيلسوف الفرنسي (أوغست كونت).

ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعة نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت.

ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسية تؤكد ذلك، وهي أن ابن خلدون في مقدمته يبين أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محدّدة، وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست وفُقّحت جيداً، وأن هذا العلم - علم العمران كما أسماه- لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل.

وأخيراً أكّد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنة مختلفة بشرط أن تكون البنى واحدة في جميعها، فمثلاً المجتمع الزراعي هو نفس المجتمع الزراعي بعد ١٠٠ سنة أو في العصر نفسه، وبهذا يكون ابن خلدون هو من وضع الأسس الحقيقية لعلم الاجتماع.

اعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، وأوّل من وضعه على أسسه الحديثة، وقد توصّل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية، وبناء الدولة وأطوار أعمارها وسقوطها، وقد سبقت آراؤه ونظرياته ما توصّل إليه لاحقاً بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كونت.

من الناحية الأخرى ...

الشخصية التلفزيونية المشهورة، والممثلة والعارضة الأمريكية "كار" والتي تشتهر بتضاريس جسدها الممتلئة وخصوصاً مقعدتها، ويرجع الفضل لعجيزة -كار- في جاذبيتها، بل تعد علامتها التجارية، حيث يستغل بوتيك "ك" الخاص بها ذلك، ويجني الأرباح من وراء استنها، وذلك عن طريق بيع صوان على شكلها، إضافة إلى عوامة سباحة على شكلها، وهذا يجعلها بطريقة أو بأخرى على تتربع عرش عالم الأزياء والموضة.

ولدت ونشأت في إحدى المدن الأمريكية، واكتسبت اهتمام الإعلام من خلال صداقتها مع العارضات، ولكنها حظيت بانتباه أوسع من الإعلام بعد تسريب شريط جنسي لها يعود لعام ٢٠٠٣ مع حبيبها السابق -ر- عام ٢٠٠٧م.

غالبا ما تتحدث -كار- بفخر عن مرتفعاتها ومنخفضاتها، ولا تتوانى في المفاخرة بجسدها عند كل إطلالة إعلامية، وبالذات -مقعدتها- حيث قالت عنها في تصريحات سابقة: "أستغرب كيف أن العالم مهووس بمؤخرتي، ولكنني أتقبل الموضوع واعتبره إطرأ".

ظهرت -كار- بصور جديدة بعدسة المصور العالمي -ج- وهي جالسة بالبكيبي على حافة سور شاطئي، وقد ظهرت استنها مغطاة بالرمل ومليئة بالسيلوليت، وسبق أن أثارت -كار- ضجة كبيرة بعد ظهورها على غلاف مجلة "ب" بمقعدة عارية تماما.

وتعود النجمة الأمريكية -كار- كل فترة وفترة لإثارة الجدل من جديد بعرض استنها للجمهور بطريقة صارخة، وبالفعل نجحت -كار- بجذب الأنظار إليها كالعادة، عبر م المليئة بالرمال، ونقلت مصادر مقربة عن -كار- لمجلة "غ" أن شريكها ووالد طفلتها مغني الراب الشهير "ك" رأى أن مقعدها هي أهم ما تمتلكه -كار- فنصحها بضرورة التأمين عليها !

فقامت -كار- بالتأمين على استنها بمبلغ ٢١ مليون دولار لحفظ أهم قطعة فيها، على ما يبدو!!

كار ليست الأولى التي تؤمن على أجزاء من جسدها، ومثلها أمنت (ماريا كاري) على ساقها ببوليصة بلغت مليار دولار، والممثلة الامركية (جوليا رويرتس) تؤمن على اسنانها وفمها بمبلغ ٣٠ مليون دولار، والمغنية الأمريكية (جينيفير لوبيز) تؤمن على استنها بمبلغ ٢٧ مليون دولار، والمغنية اليهودية (مادونا) تؤمن على صدرها بمبلغ ٢ مليون دولار، والمغنية (تيلر سويغت) تؤمن على ساقها بمبلغ ٤٠ مليون دولار، وتنوي الراقصة المصرية "س" التأمين على استنها هي الأخرى احتذاءً بـ "كار" في الايام المقبلة.

هل تعلم عزيزي القارئ..

تكثر عمليات التجميل حول العالم، وباتت النساء تتجه نحو عمليات جديدة لم تكون موجودة في السابق، وتبرز في هذا السياق العمليات المتعلقة بالعجيزات، أي تكبيرها ورفعها وشدها ولفها، لكن هل كنتم تعلمون بأن هذه العملية خطيرة وقد تؤدي بحياة احداهن؟

فريق دولي من جراحي التجميل قرروا التحذير من الخضوع للعمليات المتعلقة بالعجائز، بسبب إرتفاع عدد الوفيات في صفوف النساء، وأجرى جراحوا التجميل أكثر من ١٨ ألف عملية في عام ٢٠١٥م، وكثر من النساء كنّ يطالبن بالحصول على مقعدة "كار".

لاتيبابو ميستر البالغة من العمر ٣٠ عاماً، ماتت في غرفة العمليات بفلوريدا أثناء القيام بعملية تجميلية لرفع استهائها، تاركَةً وراءها ٦ أطفال، وهي كانت واحدة من أصل ٣٣ شخصاً توفوا في السنوات الخمس الأخيرة في الولايات المتحدة فقط جراء هذه العملية.

والسبب الرئيسي يعود الى وضع الدهون في المقعدة لتكبيرها وشدها ورفعها، بحيث تسبب هذه الدهون مضاعفات مميتة.

ومع ذلك.. وفي السنوات الخمس الأخيرة، شهد جراحوا التجميل زيادة بنسبة ١٥٠% في أعمال رفع العجائز، وخاصة بعد إنتشار ظاهرة "كار" حول العالم. هل تعلم عزيزي القارئ..

بعد بسنوات، تم انتشار صورهِ مسرِّية ل-كار- والتي عرَّت الحقيقة البشعة لمقعدتها من دون فوتوشوب، وسبب الخبر صدمة كبيرة لمحبي النجمة التي لطالما شكَّلت عجزتها مثلاً للأنوثة الطاغية والجمال اللامتناهي.

ويبدو اليوم أن السحر قد انقلب على الساحر، فقد بدأ العد التنازلي لشهرة عجيذة -كار- بعد أن علم جمهورها بالخدعة التي انطلت عليهم لسنوات عدة، حتى أن دكتور التجميل "أ" الذي كان وراء شهرة مقعدتها، اعترف بشكل مباشر بأن -كار- قد تجاوزت الخطوط الحمراء، مشيراً إلى أن -كار- ينبغي أن تكون درساً قاسياً لأي شخص يخطر بباله الخضوع إلى عمليات شد لعجزتها، حيث قال عن مقعدة -كار- ما يلي: "إنها مؤخرة كبيرة، وربما كبيرة أكثر من اللازم".

في نهاية هذه الفقرة أقول..

ذهبت -كار- الى تكبير مقعدتها لتكون محل نظر العالمين -الا من رحم ربي- وأصبح إسم -كار- مرتبط بعجزتها والتي هي مصدر شهرتها، وربما كانت است -كار- هي التي تحظى بأكبر قدر من الاهتمام في عالم العجائز، فهي تحرص على إظهارها بكل تأكيد.

وأخبار -كار- وأخبار عجزتها دائماً تتصدّر الصّحف العالميّة، والكل يريد أن يحظى ولو بنظرة واحده لهذه المقعدة، وغفل العالم والنّاس عن المقدّمة "مقدّمة ابن خلدون"، فأشهر مقدّمة في العالم تباع على أرصفة الشّوارع ب ٥ دولارات، ولا يوجد أحد يميل إليها! بينما يركض النّاس بجنون لكي يشاهدوا أشهر مقعدة في العالم، ومستعدّون أن يدفعوا الغالي والنفيس في سبيل نظرة أو قبلة لهذه العجيذة، لتقوم -كار- من باب الخوف بعدها بالتأمين عليها بمبلغ ١٨ مليون دولار!

وتأتي الراقصة "س" لكي تؤمن على مقعدها هي الأخرى اقتداء بـكار- لتكون -كار العرب- وأنا أقول في نفسي: "عجبا!! ما الذي تخرجه هذه المقعدة لكي يهرول العالم خلفها وتكون محل اهتمامهم؟!".

يقول احد علماء الفيزياء:

"You must look up to the sky, not between you legs"

لكي تكون إنسانا حرًا ، وصاحب عقل وفكر ، عليك أن تنظر إلى الأعلى وإلى السماء، وليس بين قدميك وإلى الورا.

الله أراد لنا العقه والإنسانية والحرية والتي تتحقق بأن نعبد وحده فقط، وجردنا من كل أنواع العبادات والعبودية، وخصوصا عبادة العجائز، الله أراد لنا أن يكون نظرنا عاليا نحو السماء، ونحن أبينا ألا أن يكون نظرنا أسفل السافلين وإلى الورا.

عزيزي الذكر.. كن رجل

(الا من رحم ربّي)

النسوية في عين الرجل

من قال أن المرأة ذنباً للرجل؟ ومن قال ان الرجال يضمرون في باطنهم أو ظاهرهم انحياراً ضدياً للمرأة، أو انها اقل درجة!

كان صعود أصوات النسوية في العصر الأخير على يد رجال دعوا إلى الوقوف في صف المرأة، وحماية حقوقها، ورعايتها كفرد تامّ ومكتمل بذاته، وليس كجزء ناقص أو قطعة مبتورة من المجتمع.

لقد كتب الرجال الكثير من الأعمال الأدبية والمسرحية التي تدعو إلى إنصاف المرأة ومنحها حقوقها كاملة ورفع مكانتها في المجتمع.

حيث رَسَخَ الناقد الأدبي والأكاديمي السعودي (عبدالله الغدامي) كل كتبه ومؤلفاته التنويرية والليبرالية نحو الكتابة النسوية، كما وقد كان الكاتب المصري (قاسم أمين) رائداً في حركة تحرير المرأة.

كما حال الكاتب والباحث العراقي (علي الوردي) الذي نادى بخروج المرأة من بيتها الى العالم، والمفكر المصري (سلامة موسى) الذي نحت يقول: "المرأة ليست لعبة الرجل"، بل منهم من تغال في ذلك ورفع مكانة المرأة الى حد التقديس، كالشاعر السوري (نزار قباني) الذي راح يتغزل في جسد المرأة وشفتيها ونهدها وحلماتها، وغيرهم الكثير.

الرجال كانوا متصلحين مع المرأة وحقوقها التي شرعها الله تعالى في كتابه، وكانوا يقدرّون المرأة وفكرها في حضن الإسلام منذ ١٤٤٧م عام، قبل أن تولد النسوية من الأساس أو أي من تلك الحركات والمنظمات الداعمة للمرأة.

بينما تعتمد النسوية الى زج وأسر المرأة خلف قضبان النسوية. وتتعمد عبر ندائاتها الى التأنيث والجنوسة وغيرها من الدعوات والحركات التي تتيح للمرأة أن تنصر نفسها بنفسها كذات وقيمة مستقلة ومنسلخة عن الرجل الذي يحاول تمكين قدراتها وإمكاناتها، وكأنه البودي جارد والحارس الشخصي لها.

وعندما قامت قيامة المرأة والنسوية بفضل الرجال والذكورية، خلعت قناعها، وهدمت وردمت كل مساعيهم، ووجد الرجال أنفسهم على بغتة وسط معركة دموية، تنهال عليهم النيران من كل حذب وصوب، وتشهر في وجوههم الأسلحة من مَن كانوا لهم سنداً وعوناً وكتفاً يتكؤون عليه.

لقد كشفت النسوية عن أنيابها، وأشهرت على العلن عدوها الأول وهو "الذكر، الرجل" وهدفها الأول هو القضاء عليه، وإلى الآن ما زالت تصاغ معارك وحملات الفحل النسوي ضد شريكها في الحياة.

ولقد علقت على حالة الفوضى هذه الناشطة والنسوية الأميركية (غلوريا ماري ستاينم) حيث قالت: "لقد أصبحنا الرجال الذين أردنا أن نتزوجهم".

العالم قبل النسوية

كانت تعاني المرأة أشد أنواع الاضطهاد التي كانت تصلى وتكوى بها في الجاهلية، من أسر ورق وسبي وغيره، ولو كان للحركة النسوية مكان لكان في تلك الحقبة الجاهلية، ولكن في حضن الإسلام لا أجد أي داع لتعال الأصوات بين مؤيد ومعارض، ولكل هذا الشد والجذب واللغط فيما يتعلق بالحركة النسوية.

قبل أن أكون مسلم معرفي.. كنت في البداية مسلم بالسياقة، وأثناء طفولتي لم أرى فيها أن أبي قد ضرب أمي، أو أهانها، أو حقرها فكرياً، أو سلبها أي حق من حقوقها التي شرعها الله تعالى لها ولو لمرة واحدة!! بل على العكس تماماً، ساعد في تعليمها وتوظيفها، والإعتماد على نفسها ومواجهة مخاوفها، وشجعها على قيادة المركبة، وعلى محاوره الرجال بحدود الأدب والحياء إن لزم الأمر ذلك، حتى أنه قام بشراء كل ما يلزمها من أدوات ومعدات كهربائية تساعد في أعمال البيت وغيره.

لم تكن بحاجة لحركات أنثوية أو نسوية أو جندرية أو مساواة أو غيرها من هذه المنظمات الغربية التي تهدف الى تشويه الفكر لدى المرأة.

ولكل من يقول أن النسوية ظهرت لعدم مشاركة المرأة في مراكز صنع القرار والحوار في الحقل السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن أجل الريادة والقيادة والسيادة على الصعيد السياسي، ولتحصيل حقوقها والمساواة بينها وبين الرجل في المنزل، أجيبهم بالتالي: "ألا تعلمون أن المرأة قبل آلاف السنين كان لها مكاناً مرموقاً قبل ظهور النسوية أو أي من الحركات التي تدعوا الى التحرر النسوي، حيث جلست المرأة في مصر على كرسي الحكم، كالملكة (حتشبسوت) التي أثارت الجدل في بطون الكتب والتاريخ، وهي ابنة الملك (تحتمس الأول) وهي إحدى أهم ملكات مصر وأشهرهم، حيث حكمت مصر بالحديد والنار على مدار أكثر من ٢٠ عاماً، ولقد شيد معبد "حتشبسوت" الشهير في الدير البحري المصري تيمناً بها".

وهذا يؤكد أن النسوية وحركات تحرر المرأة لا داعي لظهورها من الأساس، حيث كان للمرأة مكاناً ومجلساً وموقعاً ومنصباً قبل الإسلام، وفي ظل الإسلام أيضاً.

المرأة في عين الإسلام

إن النسوية "فيمينيزم" هي الإقرار بأن للمرأة حقوق تتساوى فيها مع الرجل، كحقها في التعليم والعمل، ولكن هذا ليس في عالمنا الإسلامي، فقد كانت المرأة تعمل وتتعلم على زمن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث كانت أمنا خديجة -رضي الله عنها- تاجرة، وكانت سيدتنا عائشة -رضي الله عنها- تتعلم وتعلم القرآن والسنة، لذلك علينا أن نكون صريحين بأن الحركة النسوية ولدت في المجتمع الغربي الذي حرم المرأة العلم والعمل قبل الثورة الصناعية، ثم طالبت بالمساواة معه في جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجنسية والفكرية، ثم انتقلت إلى المجتمعات العربية إبان الاستعمار حيث قامت بالتشكيك في الثوابت، ثم تطورت فكرتها في المجتمعات الإسلامية حيث دعت إلى مماثلة الرجل في كل شيء حتى لو كان ذلك مخالفا للشرع والدين.

في المقابل.. أوصانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمرأة قائلا: "رفقا بالقوارير"، كما أنه -صلى الله عليه وسلم- وصانا على النساء في خطبة الوداع قائلا: "استوصوا بالنساء خيرا" متفق عليه، كما وأنه -صلى الله عليه وسلم- عند احتضاره قال: "لا تأذوني في عائشة".

وقد ورد في الصحيحين عن عبد الله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم"، وفي مسند أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة"، ومعناه أضيق على الرجال تضيق حقوق المرأة وحقوق اليتيم وأشدد عليهم في ذلك.

وقد كان النساء يترافعن للنبي صلى الله عليه وسلم لينصفهن ممن ظلمهن ويرد لهن حقهن المسلوب، أما وقد جاءت احداهن تشكي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- دمامة زوجها -خطيبها- وتريد الانفصال عنه، فوقف إلى جانبها وقال لها: "ردى إليه مزرعته" وأعتقها من ذمته.

رسالتي إلى النسوية

أنا لا أنكر أن المرأة في مرحلة معينة ذاقت واقعاً معيشياً مريراً بسبب بعض الذكور السطحيين، ولكن هذا لا يعطي الحق للمرأة وللنسوية إلغاء الرجل ودوره وإقصائه من المجتمع بالمطلق، أو الهجوم والإنقضاض عليه وكأنه غول أو وحش بربري، أو تصويره وكأنه شيطان ملعون.

إنني أحاول تفجير الجدران وإزالة الحيطان من خلال تحقيق العدل بين الجنسين، وليس المساواة، لأنه لا يمكن تحقيق المساواة بينهما لغاية الاسباب التي ذكرتها آنفاً، ولقوله تعالى: "اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب اني انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى (الاية رقم ٣٤ و ٣٥ من سورة ال عمران) التفسير فيه إشارة واضحة على الاختلاف بين الذكر والأنثى من ناحية القدرة الجسدية للذكر التي يتفوق بها على الانثى، حيث يقوم بالاعمال الشاقة والصعبة، كبناء المنازل والابراج، ورفع الطوب والرمل والطينة، لذلك علقت آمالها امرأة عمران على أن يكون المولود ذكر، لما تحويه خدمة الكنيسة من عسر ولصب.

لذلك، ولعلة الاختلافات الطبيعية لا يمكن تحقيق المساواة، ولكن يمكن تحقيق العدل بين الذكر والأنثى، وبين المرأة والرجل.

وكونهما مختلفين في الطبيعة وليس بالفكر فإن هذا لا ينقص من قدر أحدهما على الآخر، ولا يرفع طرفاً إزاء آخر.

إن المرأة ليس نداً أو غريباً في عين الرجل، لتنتصر لصورتها وتتحالف مع نفسها ضد شريكها ومن هو مسكنها وأمنها وأمانها، كما أنها ليست ضحية لتنسحب من صحن الحياة، وتقبع خلف قضبانها لتدمر نفسها ذاتياً في الكوليس.

المرأة ليست خصماً للرجل على حلبة الأرض، وإنما هي السند والجندي المجهول الذي يقف خلف كل معاركه وثوراته ونجاحاته وانتصاراته.

المرأة ليست محل لتفريغ الشهوة، وإنما هي الأم والزوجة والإبنة والجدة والخالة والعمة، هي الحياة بالنسبة للرجل.

المرأة ليست موظفة أو تابعة أو خادمة لدى الرجل، وإنما هي نصفه الآخر الذي يتقاسم معه حلو ومر هذه الحياة.

المرأة ليست قصة أو رواية حزينة لتكتب في الأدب العربي، ويُروّج لها الأدب الغربي، وإنما هي حكايته السعيدة في هذه الحياة، بل هي السعادة بعينها.

على الزوج حقوق وواجبات يؤديها اتجاه زوجته، وهي كذلك الأمر، فعليها أن تدرك أهمية دورها الذي يتلخص في القيام بواجباتها وحقوقها اتجاه زوجها، وأداءها لدورها الرئيسي الحقيقي وهي أن تكون "أم"، والنسوية تتنافى مع هوية المرأة، وتعيق هذا الدور المركزي.

إن دور المرأة لم يكن مقتصرًا أبداً على الجنس والإخصاب والإنجاب والإرضاع والتربية فقط، بل أوسع من ذلك بكثير، لكن عليها أن لا تغفل عن الفعل الأمومي الذي هو هويتها الأساسية والتي تتجلى ابانها فاعليتها بأن تكون "أم"، وأكبر دليل على ذلك أن الله خلق المرأة وعاء، فالصغير والكبير والذكر والأنثى والطفل والرجل كل جاء من صلبها، ولا تتواجد هذه الطبيعة إلا في الأنثى والمرأة، بينما الذكر والرجل طبيعته ومحله مختلف تماماً، وهذا ليس تمييزاً أو مفاضلة، وإنما طبيعة متباينة مقصودة لها وجهتها التي سواها وعدلها الله تعالى لكل من الجنسين.

ألم يقل ربنا جل في علاه: "ان اكرمكم عند الله اتقاكم"، هذا هو الميزان، مقياس التمييز هو أن تكون تقي في عين الله تعالى، لا أن تكون رجلاً "ذكر"، أو امرأة "أنثى".

على مرّ التاريخ كنا وما زلنا نعتبر المرأة الحقيقية مناضلة، فهي التي تحمل على عاتقها أعباء كوكب الأرض من الذرة الى المجرة، بدءاً من دخولها المؤسسة الزوجية، الى حقوق الزوج ومتطلباته، الى الحمل والوضع والرضاعة والتربية، وطلبات الأبناء ورعايتهم، والواجبات المنزلية، علاوة على مشقة الحياة المهنية.

ما زلنا ننظر للمرأة على أنها جيشنا العنيد ووطننا الغالي والوحيد، ما زلنا نراها الأم والزوجة والابنة والجدة والخالة والعمّة، ما زلنا نراها الوالدة والأم، ما زلنا نراها ربة المنزل والموظفة، ما زلنا نراها القريبة والزميلة، ما زلنا نراها الصديقة والحبيبة، ما زلنا نراها الجندي والقائد، ما زلنا نراها الناعمة والمقاتلة، ما زلنا نراها الموت والحياة، ما زلنا نراها كل شيء، لأنها كل شيء بالنسبة لنا، إنها كل شيء بالنسبة للرجل، فأتمنى عليك يا أمة الله أن لا تهدمي الرجل لكي لا نضطر بعدها أن نهدم كل شيء..

أحب أن أخبرك يا أمة الله

أن الصحفي والكاتب والروائي (إدواردو غاليانو) كتب مرّة يقول : "على الجانب الآخر ، هناك أبناء العهر الذين يميلون إلى تمزيق البشرية والحياة ، يعيشون أعماراً طويلة ولا يموتون؛ ذلك لأنهم لا يملكون غدة نادرة في الحقيقة تسمى -الوعي- والتي تقوم بتعذيبك على مر الليالي " .

تذكري يا أمة الله ويا عبد الله، أن الله يغار

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "إن الله يغار، وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه". متفق عليه

وفي رواية أخرى

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيره الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه". متفق عليه

وحاء في الصحيح

أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: أتعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغير منه، والله أغير مني.

تذكري يا أمة الله، ومن وصانا بها رسول الله

على مرّ التاريخ كنا وما زلنا نعتبر المرأة الحقيقية مناضلة، فهي التي تحمل على عاتقها أعباء كوكب الأرض من الذرة الى المجرة، بدءاً من دخولها المؤسسة الزوجية، الى حقوق الزوج ومتطلباته، الى الحمل والوضع والرضاعة والتربية، وطلبات الأبناء ورعايتهم، والواجبات المنزلية، علاوة على مشقة الحياة المهنية.

تذكري أنك كنت وما زلت وطناً لنا

ما زلنا ننظر للمرأة على أنها جيشنا العنيد ووطننا الغالي والوحيد، ما زلنا نراها الأم والزوجة والابنة والجدة والخالة والعمة، ما زلنا نراها الوالدة والأم، ما زلنا نراها ربة المنزل والموظفة، ما زلنا نراها القريبة والزميلة، ما زلنا نراها الصديقة والحبيبة، ما زلنا نراها الجندي والقائد، ما زلنا نراها الناعمة والمقاتلة، ما زلنا نراها الموت والحياة، ما زلنا نراها كل شيء، لأنها كل شيء بالنسبة لنا، إنها كل شيء بالنسبة للرجل، فأتمنى عليك يا أمة الله أن لا تهدمي الرجل لكي لا تضطر بعدها أن نهدم كل شيء..

في النهاية:

لو كان تعري المرأة ونزعها للباس، وتقصيره وتضييقه، هو الحضارة كما تراه باربي، فهنئاً للحيوانات كل الحضارة، فلا أحد سبقها في إبراز العورة !!

المفكر السلامي

محمد نبيل كبها

الفهرس

إهداء	٥
شكر وتقدير	٦
تمهيد ١	٩
تمهيد ٢	١٠
تمهيد ٣	١١
المقدمة	١٤
قبل أن نبدأ	١٦
مشكلتي مع باربي	١٧
النسوية	٢١
النسوية ضد نسويتها	٣٣
النسوية ضد الذكورية	٣٥
النسوية ما بين الجنس والجندر	٤٠
النسوية هي من صنعت والجندر	٤٥
افرازات ومخرجات النسوية	٤٩
الثورة النسوية الى أين	٦٤
الحضن الغربي للنسوية	٦٥
نقدي للنسوية وأفكارها وأذرعها	٦٧
النسوية لا تريد حرية المرأة	٧٩
مقدمة ابن خلدون ومقعدة كار في الميزان	٨١
النسوية في عين الرجولة	٨٦

٨٨.....	العالم قبل النسوية.....
٩٠.....	المرأة في عين الإسلام.....
٩١.....	رسالتي الى النسوية.....
٩٤.....	أحب أن أخبرك يا أمة الله.....
٩٥.....	تذكري يا أمة الله ويا عبد الله أن الله يغار.....
٩٦.....	تذكري يا أمة الله ومن وصانا بها رسول الله.....
٩٧.....	تذكري أنك كنت وما زلت وطننا لنا ..
٩٨.....	في النهاية.....
٩٩.....	الفهرس.....